بروميثيوس

رجب محمد عطا

ليليت للنشر والتوزيع

obeikandl.com

بروميثيوس

رجب محمد

غلاف/ كريم محمد

مدقق لغوي أ. محمد فهمي

رقم إيداع ١٣٥٠٩/ ٢٠١٥ط١

الترقيم الدولى / ٤ - ٠١٩ - ٧٨٩ - ٩٧٧ - ٩٧٨

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

01022661632 - 012242723

lilettepublishing@gmail.com

www.lilithbook.com

جميـع الحقـوق محفوظـة للنـاشر وأي اقتبـاس أو إعـادة طبـع أو نـشر في أي صـورة كانـت ورقيـة أو إليكترونيـة أو في وسـيلة سـمعية أو بصريـة دون موافقـة كتابيـة مـن النـاشر، يعـرض صاحبـه للمسـاءلة القانونيـة .

obeikandl.com

إهداء إلى كل شيء..

أمي

أحنّ إلى خبز أمي

وقهوة أمي

ولمسة أمي

وتكبر فيَّ الطفولة

يومًا على صدر يوم

وأعشق عمري

لأني إذا متّ

أخجل من دمع أمي!!

محمود درويش

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

لأسباب تتعلق بالتاريخ.. تم نقل مقدمة الكتاب إلى مؤخرته؛ أقصد مؤخرة الكتاب بالطبع، وذلك لأن المقدمة هي آخر ما قد كتبته في هذا الكتاب.

obeikandl.com

obeikandl.com

وَزيرُ داخِليّةِ المَدرَسَة

أَزعُمُ أَنّني أَحد القلائل الّذين عاشوا تَجرِبةً حَياتِيّةً مُعَقدةً وعَميقةً في بَعض مراحلها، رغم صِغَرِ سِنّي النسبِي.. عشت أيامًا في صغري تعلمت فيها ما كان يُفتَرَض أن أتعلمه في الكِبَر.. وعلى ذات المنوال؛ افتقدت أشياءَ وأنا صغير كان لابد لها أن تُوجَد.

أَذكرُ أني وَقتَها كنت في الصف الرابع الابتدائى، ابن تسع سنواتٍ كُنْت.. وربما السبب في أنني كثير الشجارو "غلباوي ومكلبظ"؛ هو الذي دفع الأستاذ إبراهيم، مُدَرِّس التربية الرياضية في المدرسة ومسئول الشرطة المدرسية في نفس الوقت، أن يختارني قائدًا للشرطة المدرسية، أو كما كنت أحب أن أُسَمّي نفسي وقتها « وزير داخلية المدرسة».

مارست وأنا لا زلت في تلك السن المبكرة؛ كل أشكال القمع والاستبداد وحتى القوائم السوداء ..كنت لا أدع أحدًا إلا ومارست عليه جنون السلطة .. وكان الأستاذ إبراهيم قد اختار لى مساعدًا هو صديقي محمد.

كان بمجرد أن ينطلق جرس المدرسة معلنًا عن الإفراج المشروط من سجن الحصص اليومية «الفسحة» .. أنطلق أنا وزبانيتي لإغلاق كل الفصول وإعلان المنطقة المحيطة بكل فصل منطقة عسكرية «لا يُسمح فيها بالاقتراب أو التصوير»، ونمنع أيَّ إنسانٍ من الاقتراب من أي مكانٍ يقع تحت سلطتنا صحراء كانت أو بستانًا.. وإلا فإذا راودته أحلامه التعيسة وقاده حظه العاثر لذلك؛ فيصبح يومه أَسْوَدَ على أيدي رجالي الذين فاقت شهرتهم الجستابو النازي، وفُقْتُ أنا هِملَر ذاته.

كان مجرد ذكر اسمي يعني ارتسام مزيج من علامات الخوف والحنق والغضب والكراهية على وجوه زملائي الأوغاد .. الذين كرهوني لتطبيقيَ القانون، وممارسة سلطاتي كوزير داخلية للمدرسة، التي كانت تفتقد إلى الانضباط وإلى الأمن والأمان، حتى جئت أنا وأعلنت الأحكام العرفية على سكانها المستهترين، الذين لا يقدرون قيمة ما أفعله حمايةً لأرواحهم.

ولأن السلطة دومًا لها استثناءات ومحاسيب، فلم أكن أبدًا لأسمح لأي مخلوقٍ كان من الدخول إلى الفصل في الفسحة، سوى زميلة لي كانت قريبة إلى قلبي في ذلك الوقت.. وأثار هذا - إلى جانب الظلم والقهر- سخط مواطني المدرسة، الذين رأوا أن المساواة في الظلم عدل

.. وانهالت البلاغات تترى على مكتب النائب العام المدرسي، الذي كان يمثله في ذلك الوقت: الأستاذ إبراهيم.

أعترف أن الأستاذ إبراهيم حاول تجاهل البلاغات المقدمة إليه، والمشفوعة بآثار علقةٍ ساخنة لأحد المتسللين عبر الحواجز الأمنية التي أقامها رجالي في أثناء الحظر المدرسي الذي يسمونه سكان هذه المنطقة من الأوغاد المستهترين «الفُسحة».. أو آثارٍ خماسيةٍ لصفعةٍ تلقاها أحد المقبوض عليهم أثناء التحقيق معه في ارتكابه لمخالفةٍ من شأنها أن تعكر الأمن والسلام المدرسي.. لكن يبدو أن الأستاذ إبراهيم لم يستطع أن يتكتم على الأمر طويلًا، وقرر بعد طول ضغطٍ أن يُحَوّل هذه البلاغات إلى قاضي تحقيقٍ للوقوف على صحة ما تقدم .. وكان يمثل قاضي التحقيق في تلك الواقعة: الأستاذ إبراهيم.

ولكن الأستاذ إبراهيم خالف القواعد القانونية التي تقضي بسرية التحقيقات، وقرر أن يعقد محكمة ثورية علنية، على غرار محاكمات نورمبرج، أي أمام الجميع .. وشعرت بأن نهايتي ربما تقترب من نهاية شاوشيسكو، أمام أعين من عصف بهم جهازي الأمني المدرسي.. وأقيمت المحاكمة أمام الفصل بأكمله، وبينما أَمثُلُ أنا ومساعدي الأول محمد في قفص الاتهام.. قام الأوغاد من زملائي بتقديم دفوعهم ضدي، وتطوع لفيف من أوغاد آخرين كشهود إثبات للتأكيد على صدق

كلام الآخرين، مؤكدين جميعًا على صدق العبارة القائلة «لما بيقع تكتر سكاكينه» وبالتأكيد كنت أنا ذلك الـ " .... ".

وبعد أن تبين لقاضي التحقيق «الأستاذ إبراهيم» صدق البلاغات المقدمة .. وبعد أن رأى من ضعف حجتي وحيلتي وهواني على هؤلاء الأوغاد، تعالت أصوات الفصل بأكمله -إلا من صديقي مصطفى وزميلتي القريبة إلى قلبي- مطالبين بالقصاص مني؛ وطالب بعضهم بشنقي على أبواب المدرسة، كي أكون عبرةً لكل وزير داخلية يأتي من بعدي لهذه المدرسة، ويفكر في أن يقمع هؤلاء المواطنين، الذين ازدادت رغبتي في اغتيالهم جميعًا، ولأول مرة أندم على أنني لم أبنِ لهم سجنًا مثل سجن الباستيل أو معتقلًا مثل معتقل سيبيريا أو أوشفيتز كى أذيقهم ويلات الجحيم التي سيرسلونني إليها بعد قليل.. بل وطالب بعض الساديين منهم بأن يتم التمثيل بجثتي مثل «ويليام والاس» وتعليق أشلائي على أماكن مختلفة.. على أن يعلق رأسي على باب «الحمامات» بصفتها المكان الأكثر ترددًا للأوغاد منهم عليه؛ حتى يرى الرائح والغادي أن العدالة دومًا تتحقق وإن طال بها الزمان، كأنني جنكيز خان الذى قتل 11% من سكان العالم كما فعل .. باختصارٍ، كانت معدلات الحقد والكره والحنق التي يحملها هؤلاء الأوغاد لي لا تحتملها أعلى المفاعلات النووية أمانًا في العالم، لابد أن

تنفجر .. ولكم تمنيت أن تنفجر .. جميعًا.

وكان على القاضي الذي كان يمثله في تلك الواقعة «الأستاذ إبراهيم» أن يتخذ قراره وحكمه، وقد قَضَى قراره المُخفّف من وجهة نظره والجائر بالنسبة لي.. قرر الأستاذ إبراهيم تجريدي من رتبتي العسكرية، وعودتي إلى صفوف الجماهير المدرسية الأوغاد دون أي منصب سياسي.

كان الحكم بمثابة حكم بالإعدام عليَّ، كعادة كل الطغاة، هم لا يحتملون أبدًا لقب«مسئول سابق».. لا يتخيلون أبدًا أن يعودوا ليسيروا - كما كانوا من قبل- جنبًا إلى جنب مع ضحاياهم ومعَذّبيهم.. كان الأمر صعب التخيل بحق، أعذر بسببه كل الطغاة على التمسك بسلطتهم ورفضهم التخلي عنها.. كنت أسمع كلمات التهكم والشماتة التي سأنالها من هذه الحفنة من الأوغاد قبيحي الخِلقة والخُلُق.

وجاءت لحظة تنفيذ الحكم.. وتعالت أصوات المرحبين بالعدالة.. لحظة في غاية القسوة، تلك اللحظة التي تنتقل فيها من علٍ لأسفل سافلين.. فكرت في الانتحار قفزًا من النافذة، لكنها كانت فكرة سخيفة؛ فالفصل يقع في الطابق الأرضي، ولن يصيبني أذًى لو قفزت منه، كما أن هذا لا يليق بنهايات القادة من أمثالي.. ولو كنت أعرف وقتها «الهاراكيرى» لأخرجت قلمي الرصاص وزرعته في خاصرتي

وغادرت الدنيا بشرف كالقادة اليابانيين العظام الذين نالت منهم الحياة .. لكن الفكرة التي خطرت في بالي، وقررت تنفيذها، كانت هي أكثر الأفكار جلبًا للخزي.. قررت أن أتمسك بالسلطة.

تقدم مسؤول السلطة التنفيذية لتنفيذ الحكم، والذي كان يمثله في هذه الحالة أيضًا: الأستاذ إبراهيم، تقدم كي ينزع عني شارة الشرطة المدرسية التي كنا نعلقها على ذراعنا الأيسر .. وتعلقت بها - أي الشارة- كأني غريقٌ وكأنها طوق النجاة، وكلما ازداد تعلقي بها، ازداد إصراره على نزعها .. بكيت، نعم بكيت .. توسلت إليه أمام زملائي راجيًا إياه أن يتركها وألا أعود إلى المعاصي أبدًا .. لكنه ازداد إصرارًا على نزعها عني.. وقد كان بالفعل ما أراد.

وقفت منَكَّس الرأس يثقلني الخزي عن رفعها .. ثم أمر مساعدي الأول محمدًا بأن ينزع شارته عن نفسه، والذي يبدو أنه تعلم الدرس مما رأى مني؛ فنزعها بكل هدوءٍ كالزاهد في أمر الدنيا لأمر الآخرة .. نزعها عن نفسه واستدار في هدوء عائدًا إلى مقعده .. استوقفه الأستاذ إبراهيم، وأمره بأن يستعيد شارته ويرتديها .. ثم أمرني أن أعود لمقعدي دون أي شيء أحمله على ذراعي.. سوى شارة الخزي.

مرت بقية ساعات يومي الدراسي ثقيلة كجبل أُحُد.. ظللت صامتًا بقية اليوم لا أتحدث إلى أحد.. انتابني شعورٌ حاد بالاكتئاب..

كرهت فيه المَدرسة، وكرهت زملائي وأساتذتي، كرهت كل شيء تقريبًا، وقررت ألا أذهب إلى المدرسة بعد اليوم.. لن أتحمل أن تلاحقني النظرات الساخرة، ولا العبارات المتشفية الشامتة، سأنتحر بكل تأكيد لو حدث هذا معي .. نمت مثقلًا بالهموم، عازمًا ألا أذهب في الصباح إلى تلك المدرسة.

أيقظتني أمي في موعد الذهاب للمدرسة .. قمت وأنا لا أذكر أي شيء مما كان بالأمس.. وبينما أجهز حقيبتي المدرسية، لم أجد شارة الشرطة خاصتي.. وهنا تذكرت.. لكنني بالفعل مستيقظ ومرتدٍ ملابسي المدرسية، وأمي لن تقبل أيّة أعذارٍ واهيةٍ للتخلف عن المدرسة.. فكرت في الأمر مليًّا، ثم قررت أن أذهب.. لا شيء ولا أحد يستطيع أبدًا أن يوقفني أو يكسرني، سأذهب مرفوع الرأس، وستسير قافلتي مهما عوى الأوغاد.

دلفنا جميعًا إلى الفصل بعد انتهاء طابور الصباح، صاحبُ الكلماتِ التي تتكرّر كل يوم حتى صارت بلا طعم ولا لون ولا رائحة، إلا من تَحيّةِ العلم والنشيد الوطني، اللذين كان لهما مكانةٌ خاصةٌ عندي طوال مراحل دراستي، دخلنا الفصل منتظرين بداية مراحل تطور الجنين المشوه المسمى بالتعليم المصري.

مرت الحصص الواحدة تِلوَ الأُخرى في رتابتها المعتادة وسرعتها

السُلحفائية .. حتى أتت تلك الحصة التي دخل علينا فيها الأستاذ إبراهيم، وبعد أن أمر أعضاء « جبلاية القرود» الذين انهمك بعضهم في التسلق على الحوائط، والبعضُ الآخر في اعتلاء النوافذ والقليل منهم في محاولة قتل رفيقه في المقعد دون أن يترك آثارًا لميتةٍ جنائية، أمرنا بالتزام الصمت والهدوء، ثم بدأ حديثه عن حُسْنِ معاملة الآخرين، والعلاقة الطيبة التي يُفتَرض أن تسود بين الزملاء بعضهم بعضًا، لا زلت أذكر حديثه حتى اللحظة .. ثم لما انتهى من حديثه المُطَوّل؛ نادى عليَّ، ولما لبيته النداء، وجدته يُخرِج شارة الشرطة الخاصة بي، ويخبرني بأن أرتديها مرة ثانية، وبأنه يعيدني قائدًا للشرطة المدرسية، وأن ما حدث بالأمس كان درسًا لي كي أتعلم منه أن أُحسِن معاملة زملائي.

العجيب في الأمر، أني أجبت بالرفض، وكان هذا مفاجئًا للجميع.. ليس هذا بالتأكيد هو ذات الشخص الذي كان بالأمس عاشقًا للشارة «حد البكاء»، كما يقول نزار، ربما هو شخص آخر، أو ربما هي لحظات ادعاء للكبرياء سرعان ما ستزول مع أول تكرار للطلب من الأستاذ إبراهيم.. لكن هذا لم يحدث أبدًا.

أمرني الأستاذ إبراهيم مجددًا أن أرتديها، وأن عليَّ ألا أعترض على كلامه، وأن أطيعه فيما يقول، وأن ما حدث بالأمس عليَّ أن أنساه؛

فقد كان يعلمني درسًا لا أكثر، وما قسوته التي كانت معي إلا تهذيبٌ لروحي.. لكني وقفت باعتداد، وقلت له في كلمات كانت أكبر بكثير من سِنِيّ عمري، لكنها خرجت مني بقوة، وبعمق أكثر من أي فلسفة قرأتها يومًا على الإطلاق:

- لم أكن أبدًا لأحمل شيئًا جعلني أبكي وأتوسل لأجله.

لا زلت حتى هذه اللحظة، أذكر ما ارتسم على وجه الأستاذ إبراهيم من دهشة واستغراب لقوة قولي وحزمه وللطريقة التي نطقت بها كلماتي .. اليوم صار الأستاذ إبراهيم هو مدير المدرسة .. وعلى عكس ما تتوقعون فأنا لا أكرهه إطلاقا، بل لا زلت أكن له كل تقديرٍ واحترامٍ وإعزاز؛ لأنه كان سببًا في حِكمةِ طفلٍ صغير، تَعَلّم درسًا قبل أوانه بأوان.

تعلمت منذ تلك اللحظة التي مر عليها أكثر من سبعة عشر عامًا: «ألا أتمسك أبدًا بأي شيءٍ في حياتي قد يجعلني يومًا أتوسل وأبكي من أجل بقائه».

obeikandl.com

الغد يتوسل إلى اليوم مستشهدًا بالأمس

جلس الغد على سحابة يتأمل الدنيا في قلق واضطراب، يراقب اليوم من بعيد .. يتأمله في غضب .. وهناك بعيدًا عنه، يجلس الأمس على سحابة أخرى مع رفاقه متكئًا، وكأن ما يحدث بالكامل لا يعنيه في شيء.

تبادل الغد نظراته القلقة المضطربة بين الأمس واليوم، وفجأة! انتفض من على سحابته، وذهب إلى حيث يجلس الأمس، وأمسك بتلابيبه يشده إليه في عنف ويصيح به:

- تعالَ معي .. هيا، قم.

صاح الأمس، وقد هاله الأمر بشدة مستنكرًا:

- ماذا تريد مني؟!.. لقد مضيت ووليت، وما لي شأن بكم.. لقد رحلت عنكم بخيري وشري، وتركتكم لخيركم وشركم.. فماذا تريد مني؟! اتركني وشأني.

غمغم الغد وهو يرسل نظره بعيدًا، كأنه يتخيل شيئًا ما:

- تعالَ معي كي تخبر اليوم بما جرى فيك.. وأنه قد أثّر فيه وغيّره..

حتى يقتنع بهذا، ويحسن صنعًا في نفسه .. حتى لا آتي أنا وألعنه على ما تقدم منه.

ضحك الأمس في سخرية، وقال:

- وهل تظن حقًّا أنه سيستمع إليَّ أو حتى إليك .. أتعلم يا هذا كم مضى قبلنا من أيامٍ وليالٍ؟! .. أتعلم يا هذا كم مرة تمنينا فيها ونحن غدٌ أن يتعظ يومنا بأمسنا كي لا نندم على ما فات؟! .. هل تعلم كم مليار مرةٍ ندمنا فيها على ما فات؟!.. هل تعلم كم مليار مرةٍ سنندم فيها على ما سيفوتنا؟! .. ابتعد عني واتركني لحالي، فلا يومك سيتعظ، ولا أنت ستتغير .. أتركني فلا شأن لي بكم .. لقد ولّيت وما لي عودة .. والأمر بينك وبين يومك .. ولا تقلق، حين تريد أن تسوق إليه الدليل .. فإنه بالأمس كان أنت، وسيفهم ما تريد أن تقوله .. فلقد تمنى أن يفعله .. لكن خذها مني كلمة ... لا شيء سيتبدل أبدًا.

أفلت الغد تلابيب الأمس من يده، وتركه يرحل بعيدًا عنه.. وجلس يفكر فيما قيل له .. محاولًا أن يقنع نفسه بعكس ما سمعه .. باحثًا عن بصيصٍ من أمل في أن يغير اليوم.. حتى ينعم هو بساعات يومه بلا ندمٍ ولا ألمٍ، ولا عذابٍ ولا دمارٍ، ولا خرابٍ أو شيءٍ من تلك الأشياء التي تعكر صفو الأيام.. ثم أجمع أمره، وقرر أن يهبط إلى اليوم ليقنعه بذلك.

إنني أحتفل اليوم
بمرور يوم على اليوم السابق
وأحتفل غدًا
بمـرور يومـين على الأمـس
وأشـــرب نخب الأمس
ذكـرى اليوم القادم
وهكذا أواصل حياتي

"محمود درويش .. مزامير"

obeikandl.com

obeikandl.com

مذكرات حمار

هذه مذكراتي أنا بالمناسبة، نعم، لا تتعجبوا، فأنا ذلك الحمار الذي يكتب إليكم اليوم.. لكن هذه ليست مذكرات بالمعنى المتعارف عليه بين الناس، فمذكرات شخص مثلي ستكون طويلة كفاية لدرجة أني سأمل من كتابتها؛ ليس لأني ثري التجربة والخبرة والتجارب، بل لأني كثير الأخطاء، أعترف أنها ربما تكون تجربة مثيرة لي أن أكتبها يومًا ما، لكني أرى أن أنتظر حينًا، فلربما ينتج عني شيء أكثر أهمية مما سبق أن صدر مني؛ فتتعلمونه كله دفعة واحدة، وأثق أنها أيضًا ستكون تجربة لا بأس بها لكم؛ لأنكم ستقرأون عن شيطان يعيش بينكم، لعلكم تعرفون كيف يبدو شياطين الإنس فتتجنبوهم، أو تتحضروا لهم.

لكني أضع هنا رصدًا بالغ السطحية لمواقف في حياتي أعترف أنها كانت من أشد لحظات حياتي «حمورية»، وهذا المقال هنا ليس في الواقع (لحظة حقيقة)، أو اعتراف مني بخيبتي في كثير من أمور حياتي، أو اعترافي بأني كنت حمارًا، وربما لا زلت، لكن هذا المقال

هو دعوة جريئة لحضراتكم لتتشجعوا قليلًا ولا تخجلوا أبدًا من أن تكتبوا كيف كنتم مخطئين؛ حتى نتعلم منكم، فلتتخيلوا معي الآتي:
مدرسة ضخمة جدًّا .. كل من فيها وما فيها لا يشبهون بعضهم بعضًا على الإطلاق.. كل منهم له شخصيته، بصمته، تجربته، حياته، مواقفه، دروسه، أخطاؤه، نجاحاته، علمه، وجهله .. تخيلوا معي كل من في هذه المدرسة يكتب جميع أخطائه وأسباب وقوعه فيها، وماذا كان يتمنى أن يفعل ولم يفعل .. وماذا كان يتمنى ألا يفعل وقد فعل! .. وتخيلوا معي أيضًا أن يقرأ كل من في هذه المدرسة أخطاء الآخر، ويتعلم منها ويتجنبها قبل أن يقع فيها .. وفي ذات الوقت يقرأ الآخرون أخطاء الآخرين ليتعلموا منها! .. تخيلوا معي كيف ستكون تلك الحياة التي بها بشر شبه كاملين!.. فكرة عجيبة وغريبة.. لكنها مثيرة وجديرة بالنظر والاهتمام والطرح .. وها أنا قد بدأت بنفسي، وكتبت لكم أخطائي في انتظار أن تكتبوا لي أخطاءكم كي أتجنبها.. كما أنكم ستتجنبون أخطائي.. وها أنا أبدأ.
أذكر على سبيل المثال وأنا صغير.. كنت أقرأ كثيرًا في كتب والدي، واهتممت كثيرًا بالأدب العالمي من أول وهلة لكتاب من أمثال: ويليام شكسبير، تشارلز ديكنز، آرثر كونان دويل، موريس لبلان، ألفريد هتشكوك، بونسون دي تيراييل، ميشيل زيفاكو، إدجار آلان

بو، وستيفن كينج. عشقت ذلك الأدب بحق، بكل أنواعه: المغامرة والاستنباط، والتحليل البطولي والتاريخي، والرعب، عشقته حتى لقد تناسيت الأدب العربى تمامًا، رغم إلحاح والدي عليَّ في صغري بأن أقرأ أيضًا لنجيب محفوظ، طه حسين، عباس العقاد، توفيق الحكيم، يحيي حقي، يوسف السباعى، وإحسان عبد القدوس، لكني نفرت من ذلك النوع من الأدب الذي بدا لى حينها تقليديًّا جدًّا بالمقارنة بما تعودت عليه؛ ولذلك حتى اليوم لا أملك حسًّا أبدًا فى قراءة الرواية العربية مهما كانت روعتها، وندمت أشد الندم على أني لم أقرأ لنجيب محفوظ، ولعمالقة الأدب العربي.. وأعترف أن هذه كانت أحد أكبر لحظات حياتي حمورية.

وأذكر أيضًا، أنني كنت كثير الخروج من البيت في فترة المراهقة، أعلم أن الخروج من البيت ليس عيبًا في حد ذاته .. لكن العيب في أن تخرج سواءً كان لحاجة أو لغير حاجة، أن تخرج فقط لأنك تريد الخروج وتريد رؤية الشارع، وكأن كل يوم هو يومك الأخير على الأرض وتخشى أن يمر دون أن تلقي نظرة الوداع على الحياة التي تعودت عليها .. لم يكن يمر عليَّ يوم أبدًا دون أن أخرج مرتين أو ثلاثة على الأقل .. لا لشيء سوى للخروج في حد ذاته .. بل سأخبركم شيئًا غريبًا جدًّا قد حدث معي: في يوم من أيام فصل الشتاء القارس،

أصابتني الحمى، وكانت حرارتي قد قاربت الأربعين درجة، حتى لقد شعرت بأن عقلي يغلي داخل جمجمتي .. وبالرغم من ذلك المرض ارتديت ملابسي وأنا أرتعد من شدة الحمى، وتجاسرت على نفسي وخرجت من البيت لا لشيء إلا لكي أرى الشارع فقط ثم أعود لأكمل مسلسل مرضي على الفراش .. أما اليوم فأنا لم أعد أرى الشارع لأيام طويلة إلا لحاجة أقضيها، أو كان هناك ما يستدعي الخروج .. ندمت أشد الندم على كل هذا الوقت الذي قضيته متسكعًا في الشوارع .. وأظن أني لو كنت استثمرت هذا الوقت لأضفت لحصيلة معرفتي ألف كتاب على الأقل، ولألفت خمس كتب إضافية .. وهذه أيضًا كانت إحدى لحظات حياتي حمورية.

هذه وغيرها كثير، ربما يتسع المجال في وقت لاحق، أو مقال لاحق، أو كتاب لاحق، أو مجلد لاحق، أو مجموعة مجلدات لاحقة لأكتب لكم فيها عن كل لحظات الحمورية في حياتي، ولكنها مجرد بداية كما قلت لكم للتشجيع.. فليمسك كل منكم قلمه وليكتب لنا وليعلمنا.

حبة الفياجرا.. ودرس في التربية

كل شابٍ -وكل شابٍ بلا استثناء- حَلُم في فترة المراهقة بأن يخوض التجربة المثيرة التي يسمونها لسبب خفي لا أعلمه حتى الآن.. الليلة الحمراء.

لم نَكُن نَعلم تحديدًا ماذا يجري في تلك الليلة «الحمراء» سوى أنها أشياء لا تستطيع أن تفعلها في أيّة ليلةٍ بأي لونٍ آخر .. كُنّا نَعلم فقط أنها «حاجة حرام»، وكان هذا يَكفي في أن ننطلق بحثًا عنها، وبما أنها حرام؛ فكان لابد أن نَبذُل لها السعي؛ فَقطعًا، هي تحمل متعةً من نوعٍ ما.. ذلك فقط ما كنا نعلم.

ولأننا لم نصل أبدًا لتلك الليلة، أو على الأقل لم نصل لتلك الدرجة القصوى من درجات اللون الأحمر، أو على الأقل هذا على المستوى الشخصي .. وهذا ليس ادعاءً بالعفة والطهارة .. لكني بذلت السعي ولم أصل يومًا إليها .. والحمد لله أنني لم أصل.

منذ بضع سنوات، وفي أحد الأيام، كنت عائدًا إلى بيتي قادمًا من

بيت جدي لأمي .. وفي منتصف الطريق بينهما تقع «صيدلية»، يعمل بها أخٌ لصديق لي، نادى عليَّ . فأجبته، نظر إليَّ وابتسم، وبعد السؤال عن الأهل والأصحاب والأحباب، وعبارات المجاملة المعتادة .. أخرج من جيبه حبة كبيرة الحجم نسبيًّا، ولها لون مختلف عن بقية الحبوب التي نتعاطاها في مرضنا .. ولما سألته عن ماهية تلك الحبة، أجابني وهو يغمز لي بعينه بأنها «فياجرا».

ولما كنت لا أعلم سببًا واضحًا - لي أنا على الأقل - يجعله يعطيني حبة فياجرا، سوى أنه يراني زير نساء، أو جياكومو كازانوفا مثلًا، سألته مستفسرًا عن السبب؛ فأومأ لي بعينه إيماءة ذات معنى، وقال:

- أنا عارف إنك إنت ومحمود بتلعبوا بديلكو كتير .. ماتخبيش عليا أنا عارف كل حاجة .. خد دى بس وهتدعيلى.

وبما أن قاعدة «الصيت ولا الغنى»، كانت لا تزال قيد العمل، ولم تُلغَ في الدستور الأخير .. فانتهزت الفرصة كي أحاول الإنكار، بينما لسان حالي يقول: «ما تحرجنيش بقى» .. وانتفخ صدري، وتقمصت دور زير النساء .. وكنت بالفعل لحظتها شكلي أقرب إلى الزير.

دسست الحبة في الجيب الصغير لبنطالي الجينز .. وسرت أفكر فيما يمكن أن أستخدم تلك الحبة في غير الاستعمال المخصصة له .. لأنه على ما يبدو كان مستحيلًا.. للأسف.

وبعد تفكير عميق طوال الطريق إلى البيت .. تفتق عقلي عن الفكرة العبقرية الوحيدة تقريبًا في هذه الحالة .. سأحتفظ بها كما هي في جيبي حتى أفكر فيما بعد، كيف أستغلها الاستغلال الأمثل؟! وظلت في جيبي الصغير ... حتى نسيتها.

وأتى ذلك اليوم المشهود من كل أسبوع .. يوم الغسيل، وبعد تكرار غسل الأموال والأوراق مع الملابس، ابتكروا عندنا حلًّا عبقريًّا لتلك المشكلة يستخدمونه في اليابان على الأرجح، ألا وهو إفراغ محتويات الملابس قبل غسلها.

وبدأت عملية التفتيش .. وكما توقعتم تمامًا، وقعت حبة الفياجرا في يد كبير المفتشين... ماما.

وبما أن والدتي، من أولى الممرضات في مصر الحاصلات على مؤهل دراسي فوق المتوسط؛ فقد عرفت تمامًا حقيقة ما وجدت، أو لمثل هكذا سبب كنت أرجح أنها عرفت نوع الحبة .. قبل أن أكتشف أن كلمة «فياجرا» محفورة في قلب الحبة، وكأن صانعيها الأوغاد يخشون من عملائهم أن ينسوا اسمها فحفروها عليها.

استيقظت من النوم متأخرًا كعادتي.. وبينما أنا في طريقي من غرفتي إلى الحمّام .. صاحت بي أمي وهي ترمقني بنظرة نارية أعرفها جيدًا وأعرف معناها، وقالت :

• رجب .. تعالى أنا عايزاك.

وبما أني أعلم معنى تلك النظرة وطريقة المناداة .. حاولت كسب بعض الوقت للتجهيز للمرافعة اللازمة للدفاع عن أي شيء خطأ قد فعلته، وقلت مضطربًا:

• لحظة يا ماما .. هدخل الحمام وآجي على طول.

دلفت إلى الحمام هربًا من أمي .. ولو إلى حين، أصابنى الإمساك من شدة القلق والتوتر .. ورحت أعتصر عقلي عصرًا محاولًا أن أتذكر ماذا يمكن أن أكون فعلت.

هل علمت أمي بموضوع «البت إيمان»؟! لا يمكن أن تكون علمت، فلا أحد يعلم أساسًا. إذن ربما سمعت عن موضوع «البت ابتسام»؟!، لا هذا أيضًا مستبعد. إذن ربما علمت عن موضوع «التزويغ» من المدرسة؟! هذا مستبعدٌ أيضًا؛ فهي لا تزال تعطيني المصروف بانتظام.. إذن ماذا يمكن أن أكون فعلت؟!

كنت قد نسيت تمامًا أمر الحبة التي نسيتها في جيب بنطالي، الفياجرا، وعندما لم أجد سببًا لبقائي في الحمام لعام آخر، أقنعت نفسي أن كل هذه تهيؤات، ولا يوجد شيء يستحق الخوف منه، وربما هي تريدني كي تعطيني «فلوس» درس الفيزياء .. وقررت الخروج من الحمام .. وليتني ما خرجت.

دخلت إلى غرفتها -غرفة أمي- وجدت نظراتها هادئة؛ ما عزز لديَّ فكرة أن كل ما رأيت كانت تهيؤات مصاحبة للحظات ما بعد الاستيقاظ من النوم .. واستعدت توازني.. وامتلكت الشجاعة كي أسألها:

- أيوة يا ماما .. فيه حاجة؟!

لم أنتبه إطلاقًا إلى أنها تمسك حبة في إحدى يديها، وتمسك بنطالي في اليد الأخرى.. قالت لي وهي ترفع أمام وجهي الحبة التي وجدتها في جيبي:

- إيه دي؟!

ندمت أشد الندم على أنني خرجت من الحمام .. ولم أحرك ساكنًا، انعقد لساني، وتسارع الأدرينالين، وازداد العرق، وزاغت عيني، كنت في موقف يستحق التصوير بحق .. ولم أدرِ ماذا أقول، أو كيف أدافع عن نفسي « الجريمة لبساني لبساني».

غمغمت ببضع كلمات غير مفهومة حتى لي أنا .. ثم تابعت قائلًا بصوت مخنوق:

- إيه دي يا ماما ؟! .. ماعرفش .. واحد صاحبي إدهالى وحطيتها ف جيبى.

أجابت أمي عليَّ قائلة في هدوء واحترام:

- مش رجب إبني أنا إللي يحط حاجة ف جيبه من غير مايعرف هيه إيه.

شعرت بإحراج بالغ لم أشعر به من قبل، ولن أشعر به من بعد هذه اللحظة .. أجبتها وكلي خجل:

- خلاص يا ماما، أنا آسف .. إرميها.

ردت أمي عليَّ باحترام أشد:

- لأ، مقدرش، دى حاجة تخصك، ونا عمري ما بتعدي عليَّ حاجة تخصك، خدها واعمل بيها اللي إنت عايزه .. ونا متأكدة إنك هتعمل الصح إللي أنا ربيتك عليه.

تمنيت أن تغضب أمي .. أن تنهرني بشدة.. أن تعنفني.. أن تسبني.. أن تفعل أي شيء من تلك الأشياء التي يفعلها أولياء الأمور في تلك المواقف.

لكنها كانت أكثر عقلًا منهم جميعًا، وأكثر حكمة، وأكثر بصرًا وبصيرةً. أخذت الحبة منها .. رميتها بكل تأكيد .. ثم اختفيت من أمام أمي لمدة أسبوع على الأقل .. أستيقظ وهي نائمة، وأعود بعد أن تنام.. أتجنب النظر في عينها، وأتحاشى أن تتلاقى عيوننا.

هذا المقال في الواقع ليس للشباب.. إنما هو لأولياء الأمور، الذين عليهم أن يتعلموا كيف يربون أولادهم جيدًا.. وأن عليهم أن يتعلموا،

obeikandl.com

كيف أن لكل مرحلة عمرية نوعًا من العقاب، ونوعًا من المكافأة، ونوعًا من لغة الحوار.

وعليهم أن يتحلوا بالذكاء عندما يتعاملون مع أبنائهم .. وأن يعلموا أن العقاب على الخطأ ليس هو الهدف، بل الهدف هو العقاب الذي يمنع الأولاد من أن يكرروا الخطأ، وإذا لم يفِ العقاب بهذا الغرض، فهو ليس عقابًا، وهو أسلوب فاشل في التربية، يساعد في زيادة الاعوجاج وليس تقويمه.

أو باختصار، أنصحهم أن يتعلموا من أمي، المرأة التي امتلأت ذكاءً كافيًا؛ كي يجعلها تصنع مني قاضيًا وجلادًا على نفسي، ومراقبًا لأفعالي قبل أن يراقبها عليَّ غيري.

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلم الذي لا يتحقق

من بين كل ألف شخص تقابلهم، ستجد 999 شخصًا، يخبرونك، ولو لمرة واحدة على الأقل - إن لم يزد- أنهم قد حلموا بشيء ما في منامهم ليلة أمس .. وعندما استيقظوا من نومهم وجدوا هذا الحلم يتحقق أمام أعينهم بحذافيره .. وهم في دهشة واستغراب من ذلك التواصل الشفاف ما بينهم وبين الله، والذي يجعلهم يقرأون الغيب .. وبما أنني من أولئك الأشخاص الذين لا يقبلون ولا يقنعون أبدًا بالتقليدي من المنطق؛ فسأخبركم بحقيقة عني ستذهلكم أكثر من هذا الذي سبق..

ماذا تقولون؟!.. لي قدرة على التخاطر؟!

لا، لا.. هذه أشياء تافهة مقارنة بما في استطاعتي أن أفعل.

أحرك الأشياء عن بعد؟!

يبدو أن خيالكم الضيق لن يجود بما يناسب الخارقين من أمثالي.

أتذكرون أولئك الـ 999 شخصًا مُدّعي القدرات الخارقة في قراءة الغيب، الذين أخبرتكم عنهم منذ قليل؟! .. ألا تلاحظون شيئًا غريبًا في الأمر؟!

ليليت للنشروالتوزيع
obeikandi.com

بالضبط .. هناك شخص مفقود، لم يكن ضمن تلك الحفنة من مدعي الرهبنة.

أحسنتم التخمين .. إنه أنا؛ فأنا -وبلا فخر- لم أحلم بأي شيء أبدًا في حياتي وتحقق .. تتعجبون .. أليس كذلك؟!

إنها الحقيقة .. بل وأكثر من ذلك بقليل؛ صار أي شيء أحلم به في نومي هو دلالة قاطعة على أنه لن يحدث أبدًا.. بل وعليَّ أن أجهز نفسي لحدوث عكسه تمامًا.

غريب ذلك الأمر، لكنه حقيقي.. لكني كشخص دائم الاعتراف بجهلي؛ وبالتالي دائم الاهتمام بأن أتعلم من كل شيء يمر بي في حياتي؛ فقد تعلمت أن أتكيف مع هذا الأمر لدرجة ربما تستعصي على عقول الكثيرين أن يصدقوها.. لقد توقفت عن الأحلام.

ماذا؟!.. هل يمكن لأحد ألا يحلم؟!

نعم، يستطيع، وهأنذا تجربة حية أمام أعينكم.

كيف حدث هذا؟!.. سأخبركم.

أقنعت نفسي لشهور طوال، وربما لسنين، بأن الحلم لا يجدي .. أصحو من نومي سعيدًا لأنني قد أطلقت في حلمي رغباتي الدفينة، وحققت آمالي البعيدة.. وحينما أستيقظ؛ أجد نفسي مدفوعًا من أعلى قمة جبل الأحلام السعيد؛ لأرتطم بعنف بقاع الواقع الصخري القاسي

التعيس.

وضعت لنفسي خيارين لا ثالث لهما، ولابد لي من أن أختار واحدًا فقط من بينهما .. أولاهما: ألا أحلم قط، وثانيهما: أن أحقق كل أحلامي اليوم حتى لا أحلم بها غدًا، وأستيقظ على نفس الحقيقة المؤلمة.

ولما صعب الاختيار الثاني عليَّ وشق.. قررت أن أتوقف عن الأحلام.. أمرت عقلي بعنف؛ بألا يمنيني إلا بما هو موجود بالفعل، أو على الأقل ما هو قريب التحقق مني اليوم.. أمرته ألّا يسحبني إلى عوالم السحر الرومانسية، ثم يتركني في صحراء الواقع الجرداء.

قررت أن أحلم وأنا أعمل على تحقيق حلمي .. قررت أن أنزع هدفي من داخل حلمي وأضعه أمام عيني .. قررت ألا أترك نفسي لنشوة زائفة .. أو إرضاء نفسي مصيره إلى زوال.

ستتعجبون من حديثي هذا .. لكنها حقيقة لا مراء فيها.. أو على الأقل؛ هي هكذا بالنسبة لي .. وستتعجبون لو علمتم ما بمقدرة عقولكم أن تفعله وأنتم تظنونه مستحيلًا، لكنه في صميم دائرة الممكن.

تخلُّوا عن أحلام النوم واليقظة معًا؛ فكلاهما تعبير عن الفشل فى الواقع.

قوموا بنقل أحلامكم لأرض الواقع الصلبة، بدلًا من بحر رمال الوهم

التي تغوصون فيها؛ فتضيعون فيها وتضيع أحلامكم معكم.
حتى وإن لم ينبت حلمكم في أرض الواقع .. على الأقل، قد علمتم أن هذا النبت لا يطرح في تلك التربة.. جربوا زرعًا غيره، أو جربوا أرضًا غيرها .. افعلوا بالواقع ولا تظلوا مفعولًا به.
كنت يومًا ما شخصًا مثيرًا للشفقة.. أحلم ليلة وراء ليلة .. ولا يطلع لليل حلمي نهار أبدًا.
قرأت يومًا مقولة تقول: «إذا أردت أن تحقق حلمك؛ فاستيقظ من نومك».
فكرت فيها طويلًا.. إنها صحيحة.. إذا ظللت أحلم وأحلم وأحلم، وتتراكم أحلامي فوق منضدة عقلي الغائب، فمتى إذن سأحقق هذه الأحلام؟!
الحلم جميل، أعلم. حدوده رحبة، بحره متسع، قيوده منعدمة.. لكن صدقوني، لو تحقق الحلم لصار أجمل بكثير.
لا تحلموا .. حددوا هدفًا ما.. وقرروا أنكم ستسعون لتحقيقه مهما كلفكم الأمر.. وعندما تحققونه .. حققوا حلمًا آخر .. ثم الذي يليه والذي يليه.. حتى يصير واقعكم كالحلم جميلًا.

الاختبار القذر

صديق لي منذ كنت في السادسة من عمري، هو من علمني هذا الاختبار «القذر»، لا أستطيع أن أذكر اسمه بالطبع، لكنه سيتعرف نفسه على الفور بعد قراءة عدة سطورٍ من هذا المقال، صديقي هذا هو البراجماتية في كينونتها البشرية، وإذا كان للبراجماتية أن تتخذ اسمًا آخر غير اسمها لاختارت اسم صديقي هذا، لكني أعترف أولًا: أنه شخص ذكي، لديه قدرة لا بأس بها على التفاوض والإقناع -ليس معي بالتأكيد-، مثقف إلى حد ما وإن كان ينقصه الكثير، أنيق، لكن ينقصه أنه لا يضع أية قيمة لأية اعتبارات أخلاقية أو روحانية، لديه قدرةٌ غريبةٌ على تجريد أي فعل من مفهومه السامي وجعله قضية دنيوية بحتة، يجوز عليها منطق واحد فقط .. هو الفائدة، لكن هذا لا يعني أنه إنسان فاسد، بل إنه تربى في بيتٍ صوفي يعرف القرب من الله.

وقبل أن أتطرق إلى الاختبار «القذر» كما أسميته، اسمحوا لي أولًا أن

أحيطكم علمًا بالسياق التاريخي لهذا الاختبار، والتعريف بأن هذه الفكرة كانت وليدة فترةٍ نعرفها جميعًا بفترة المراهقة.

كان صديقي هذا وأنا نعرف بعضنا جيدًا، ويفهم كل منا ما ينقص الآخر، بل ويسعى لملء الفراغ عند الآخر، والتغطية عليه في المواقف الصعبة، ببساطةٍ كانت علاقةً تكاملية بامتياز، لكنها في نفس الوقت كانت علاقة دائمة التنافس والتحدي فيما يعرف كل منا أن الآخر لا يستطيع القيام به.

حتى لا أطيل، تحداني صاحبي هذا يومًا، أني لا أستطيع إلا الحديث باللغة العربية الفصحى، والفلسفة والمنطق، والحديث المنمق، ولا أستطيع إقناع إلا شريحةٍ معينةٍ من البشر، هم أولئك الذين لا يفهمون إلا تلك اللغة والطريقة من الحوار، وأني لا أملك غيرها وليس في جعبتي سواها، وبالتأكيد تحديته أني أستطيع فعل أي شيء وكل شيء، وبأني أستطيع الحديث بكل الألسنة، ومع كل الشرائح والطوائف، وعلى كافة المستويات، وعليَّ أن أكون صادقًا معكم، أني لو كنت أعلم طبيعة هذا الاختبار والفخ الذي يقودني إليه؛ لما تحديته مطلقًا ولوافقته على كل ما قد قِيل.

وكانت صدمتي البالغة حين وضعني صديقي هذا في الاختبار ... الاختبار القذر.

كانت دهشتي لا يتخيلها أحد؛ فالاختبار كان قذرًا بحق، لكنه ملهم بحق، وله معنى عميق جدًّا، حتى صديقي هذا حين طرحه لم يكن يُقدر ذلك المعنى الذي استفدته مِنه.

قال لي صديقي في لهجة متحدية:

- أنت تستطيع أن تقنع فتاة في السادسة عشرة من عمرها على أن ترتبط بك في علاقةٍ عاطفية .. لكن هل تستطيع أن تقنع فتاةً في الخامسةِ أو السادسةِ من عمرها أن تخلع ثيابها طواعيةً؟!

أعلمُ أن الجميع قد صُدِم - مثلي تمامًا بالمناسبة- فالاختبار كان قذرًا بكل ما تحمله كلمة قذارة من معنى.

تساءلت على الفور:

- وما الذي يدفعني للتفكير في هذا الأمر؟! .. فأنا أتفهم جيدًا لماذا قد تقنع فتاة بالغة بخلع ملابسها -على خطأ الفكرة بالطبع- لكن أن تقنع فتاةً في الخامسة من عمرها بخلع ثيابها .. ما الذي يدعوك للتفكير أساسا بأمرٍ كهذا ؟!

كانت الفكرة مزعجة بحق.

لكنه بدأ يشرح منطقه في رَويةٍ وهدوءٍ كعادته، كمن يحاول أن يُقنِعَكَ بأن المسيحَ سينزل في آخر الزمان وأنت لا تصدقه، وربما هو وحده فقط الذي يشعر بسمو الفكرة التي يحاول جعلها منطقيةً بأية طريقة.

فرد قبضتيه أمامي كما اعتاد دومًا أن يفعل، وكأنه يحاول أن يرسل رسالةً غير مقروءةٍ بأنه لا يحمل أي مصدر تهديد، وعليَّ أن أطمئن؛ وبالتالي أقتنع بكلامه «حيلةٌ تفاوضيةٌ معروفة» .. ثم تابع يقول:

- إن الفكرة ليست على الإطلاق في أن تخدش حياء الطفلة، أو أن تسرق براءتها، لا لا على الإطلاق .. بل إن الأمر كله يُختَصَر فقط فى تحدٍّ عقليٍّ بحت على أنك تستطيع أن تقنع عقلًا كالصفحة البيضاء أن يفعل شيئًا كهذا.

ففى رأيه أن إقناع فتاة بالغة بهذه الفكرة أسهل بكثير جدًّا من إقناع طفلة بها؛ ذلك أن الفتاة البالغة تحركها شهوة ستسهل عليك عملية الإقناع -إضافةً إلى المجهود الحميد الذي يتطوع به الشيطان في تلك الحالة- لكن الطفلة براءَتُها لا تملك القدرة على تصور الهدف من الفكرة، وأنه طالما لا تقدر على إقناع عقل كالصفحة البيضاء أو كما يسمونها باللاتينية «تابيولا رازا» -والحديث هنا له- فأنت ببساطةٍ ينقصك الكثير لتتعامه عن كيفية الإقناع، وأنت حتى هذه اللحظة عاجزٌ حتى عن إقناع فأرٍ بأن القط هوعدوه اللدود، وهذا ببساطة كان هو الاختبار القذر.

وبغض النظر عما إذا كنت قد قمت بالاختبار أم لا -لأنني حتى لو كنت قمت به سأقول بالطبع لا- فإنني اليوم وبعد عشرة أعوام تقريبًا

من تلك الفكرة الشيطانية، أجد أننا فعلًا علينا جميعًا علينا أن نتعلم كيفية الإقناع، وآدابه، بل والأكثر من هذا؛ علينا أن نضع هدفًا ساميًا للإقناع، فالإقناع ليس كما يتصور البعض بسذاجة أنه هو الهدف، مطلقًا .. فالإقناع وسيلةٌ لما قد يُمكِن أن يكون شرًّا كاختبارنا هذا الذي ذكرناه آنفًا، ويمكن أن يكون خيرًا؛ كأن نُرَوِّجَ لحقٍّ، أو أن ندحض باطلًا.

كأن نقنع ملحدًا مثلًا بوجود الله، أو نقنع أحدًا بالانتماءِ للدين أو للوطن، وليس على غرار الإقناع القذر الذي أشرت إليه سابقًا.

وفي النهاية، أتقدم بالشكر لصديقي هذا، الذي علمني كيف أُخرِج من قَلبِ القذارةِ شيئًا يستحق أن أَتَعلمَه.

openkandl.com

obeikandl.com

البَيروقراطيةُ في الحُب

قبل أي شيء، عليَّ أن أنوه أولًا أن هذا حديث لا يمت للتجربة بصلة، فمن سيحدثكم عن الحب في السطور التالية لم يذق طعم هذه التجربة قط -حتى هذه اللحظة-، إلا أنه استمع مرارًا وتكرارًا لأحاديث عن قصص حب فاشلة وعشاق معذبين .. لكني لم أكن يومًا ذلك العاشق المغدور به، ولا ذلك المتيم إلى حد الجنون.. وأتمنى ألا أكون، وهذه محاولة لتقديم النصح عسى ألا تكونوا أيضًا من بين هؤلاء.

وككل لحظات العبقرية والتفاهة معًا؛ تأتي الفكرة في لحظة .. تخيلت لثانية متسائلًا عن السبب الذي يجمع بين كل تلك القصص الفاشلة في الحب، وكل أولئك العشاق المعذبين .. ما الذي يمكن أن يقلل خسائر التجربة إلى حد الانعدام ؟! .. أو على الأقل، ما الذي يمكن أن يجعل هذه التجربة قابلة لأن تصبح حياة كاملة، بدلًا من كونها تجربةً قاسية النهاية ... غالبًا.

obeikandl.com

ستتعجبون جميعًا عندما تعرفون أين وجدت الحل .. لقد وجدته في مجمع التحرير.. نعم، إنه ذلك المبنى الأثري العتيق الذي يضم بين جدرانه البيروقراطية المصرية.. ذلك الطفل العجوز صاحب السبعة آلاف خريف .. ولكن، كيف يمكن أن يعطينا هذا الرمز البيروقراطى العريق العتيق حلًّا لمشكلة تجربة الحب؟!.. هذه هي الفكرة العبقرية.

كأي جهاز إداري في مصر.. حينما ترغب في إنهاء أوراق لشيء ما.. فإن عليك أن تزور تلك النوافذ المتجاورة المرقمة من رقم واحد حتى عشرة ملايين قبل الميلاد وبعده.. تخيلت أنا تجربة الحب وهي تمر عبر الجهاز الإداري للمنطق كي يتأكد من سلامة الأوراق واستيفاء الشروط لقبول الطلب، شأنه شأن أي جهاز بيروقراطي عقيم يحترم نفسه.. تخيلوا معي التالي..

يدخل الشخص منا إلى المبنى الإداري -الذي يمثله المنطق في تلك الحالة-.. يقدم طلبًا إلى الموظف القابع خلف النافذة الأولى مكتوب فيه التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المحترم / مدير المنطق

تحية طيبة وبعد ،،

نطلب من سيادتكم التصريح لنا نحن المذكورين أدناه بالشعور بالحب تجاه الشخص/ فلان الفلاني

وذلك نظرًا لما بدا علينا من علامات الإعجاب والإهتمام به.

وتفضلوا سيادتكم بقبول فائق الإحترام.

مقدمه لسيادتكم /

إنسان

ثم تمد يدك بالطلب إلى الموظف خلف النافذة الأولى.. يرمقك بنظرة ازدراء واستخفاف.. يقلب الورقة في كفه باستهتار، ثم ينظر إليك طويلًا وكأنك قادم من عالم آخر، ويقول:

- أين شهادة المؤهل الدراسي الخاص بك، وبالشخص المطلوب

obeikandl.com

لأجله الإذن، لضمان توافق العقلية يا أستاذ؟!

- شهادة المؤهل !! محدش قاللي وربنا.
- أحضر شهادتي المؤهل أولًا .. وابقى ارجعلنا.

تخرج وأنت تجر أذيال الخيبة وعدم الفهم .. تذهب في اليوم التالي إلى الجامعة.. تتقدم بطلب من أصل وتسعة آلاف صورة.. وبعد دفع المستحقات المالية، تحصل على الشهادتين.

تذهب في اليوم التالي إلى المبنى الإداري للمنطق .. تذهب فرحًا إلى النافذة الأولى، وتناول ذات الموظف الطلب المقدم منك، ومعه شهادتا المؤهل .. ينظر فيهما بإمعان، ثم يمهر الأوراق بإمضاء غير ذي معنى .. ثم «يلطع» عليها خاتمًا خاصًّا به .. ثم ينظر إليك مبتسمًا ابتسامة لزجة تشعر أنه يبتسمها منذ العصر الهيليني حتى اليوم، ثم يقول:

- روح الشباك اللي بعدي وإديله الورق ده.

تذهب فرحًا إلى النافذة التالية، ظنًّا منك أنها نهاية المطاف .. تمد يدك بالأوراق للموظف .. يتناولها بغير اهتمام، ثم يقلبها بين يديه كأنه يبحث عن شيء ما سيسقط من بينها، ثم يرمقك بذات نظرات الازدراء والاستخفاف التي يبدو أنهم يتدربون عليها في العصر الهيليني مع الابتسامة اللزجة، ثم يقول:

- أين خطاب وزارة التضامن الاجتماعي يا أستاذ؟!
- وزارة التضامن!! وإيه علاقة وزارة التضامن بالحب يا بيه؟!

تسأل متعجبًا.

يجيبك هو، وكأنك قد غفلت عن أحد نواميس الكون، قائلًا:

- لازم جواب من وزارة التضامن الاجتماعي يا أستاذ يقولوا فيه إن وضعك الاجتماعي إنت والشخص المقدم من أجله الطلب متوافق .. هات الجواب ده وابقى عدي علينا بكره، إتفضل.

تخرج وأنت تشعر أنك كنت واهمًا حينما تخيلت الأمر من السهولة بمكان لمجرد الاكتفاء بطلب يُقدم ويُقبل وانتهى الأمر عند هذا الحد.. لكن لا بأس؛ فالأمر يستحق، غدًا نتوجه لوزارة التضامن الاجتماعي لاستخراج الجواب المطلوب، وبعد غد ينتهي الأمر برمته، ويحصل قلبي على التصريح بالحب، وأنعم أنا وحبيبتي بحياتنا الطويلة معًا وبحبنا الأفلاطوني - الذي هو أساسًا بريء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب - أقصد أفلاطون.

وبعد استخراج الجواب المطلوب بعد طول عناء وشحططة .. تذهب متبخترًا إلى المبنى الإداري للمنطق من جديد، الذي بدأت تألفه أكثر من الشخص الذي تطلب من أجله التصريح بالحب .. تذهب مباشرة إلى النافذة الثانية.. تقدم الأوراق محاولًا إظهار الخطاب المراد

.. يتناول الموظف الأوراق .. ينظر فيها، يمهرها بتوقيع غير ذي معنى كالسابق، ثم «يلطعها» بخاتم آخر، ويناولك الأوراق وعلى وجهه ذات الابتسامة اللزجة، قائلًا:

- روح الشباك اللي بعدي واديله الورق ده.
- إيه حكاية الشبابيك في المكان ده؟! مفيش حد يقولي خد الورق واخرج من الباب ده ولا إيه؟! .. عمومًا هانت.

تهمس أنت بهذه الكلمات في صوت بالكاد يُسمع.

تذهب إلى النافذة التالية .. تعطي الموظف الأوراق، يلتقطها بنفس الأسلوب اللامبالي بوجودك أصلًا.. تتسارع أنفاسك، لقد قلب الأوراق في يديه .. في كل مرة يفعل أحدهم هذا يخبرني بأن هناك شيئًا ما ينقص الأوراق .. يبدو أنها عادة في هذا المكان، يرمقك بنظرة متعالية، قائلًا:

- أين خطاب جهة العمل؟! مرفق معه بيان تفصيلي بالراتب شاملًا الحوافز والبدلات.

تشعر وكأن هذا الأمر كالكابوس، لا ينتهي، أو متاهة تدخلها، ثم تضل الطريق فيها؛ فتظل حبيسها بقية عمرك .. تمتنع عن الرد، تلتقط الأوراق من فرجة الزجاج الشفاف .. تخرج من المبنى عائدًا إلى البيت، تذهب في اليوم التالي لمحل عملك، تتوسل إلى زملائك كي

ينهوا لك الأوراق مبكرًا؛ كي تلحق مبنى المنطق قبل أن يغلق أبوابه.. تنتهي من أوراقك، تحملها وترفرف طائرًا إلى النافذة الثالثة .. تدفع إلى الموظف الأوراق أملًا في أن ينتهي هذا الكابوس إلى حلم جميل.. يمهر الأوراق بنفس الإمضاء باللغة السريانية تقريبًا، و«يلطع» خاتمه، قائلًا:

- روح الشباك اللي بعدي.
- ما خطب هؤلاء القوم؟! .. ألا تنتهي نوافذهم أبدًا؟! .. يبدو أنهم يعملون جميعًا في مايكروسوفت.

تذهب للنافذة الرابعة، تعطي الأوراق للموظف القابع خلف الزجاج كتمثال الكاتب المصري .. إنه يقلب الأوراق.. لاااا، ليس مرة أخرى، في كل مرة تفعلون هذا تكون نهاية التقليب تقليبي أنا .. يرمقك بذات النظرة التي بدأت تعتادها، قائلًا:

- أحضر خطابًا موقعًا من رب أسرة الشخص المطلوب لأجله التصريح، والأم أيضًا، بما يفيد بأنهم لا يمانعون في وجودك عنصرًا جديدًا في عائلتهم.
- نعم !! ودا أجيبهولك إزاي ده ؟!
- إتصرف.

يتفتق عقلك عن فكرة ما.. تذهب إلى شيخ الحارة وترجوه بأن يأتي

لك بهذا الخطاب وأن يكون لك شفيعًا لك عند الأهل بما له من مكانة في المنطقة .. وبعد عناء وأخذ ورد، يأتي لك بالخطاب .. تذهب في اليوم التالي إلى المبنى الإداري للمنطق، والذي جعلك تفكر جديًّا من كثرة ما لاقيت فيه بأن تتخلى عن الأمر برمته .. تقفز على النافذة الرابعة بعد المائة الخامسة تقريبًا .. تعطي الموظف الأوراق وعلى وجهك تعلو علامات البلطجة ونفاد الصبر، التي توحي بأنك على استعداد لفعل أي شيء كي تنتهي من أوراقك اليوم .. يتناول الأوراق يمهره بذات الإمضاء الهيراطيقي، ثم يزينه بخاتم جديد، لقد اختفت معالم الطلب من كثرة الإمضاءات والأختام عليه .. لا بأس، المهم أن ننتهي من الأمر اليوم .. يناولك الموظف الأوراق، قائلًا:

- إمضيها واختمها من مكتب المدير، وبكده يبقى خلاص طلبك إتقبل.

تسأل عن مكتب المدير، الذي هو غالبًا قد غادر المبنى مبكرًا؛ لأن زوجته فى حالة وضع، زوجات المسؤولين يضعون كل يومين تقريبًا، ظاهرة عجيبة تستحق الدراسة فعلًا، لكنه اليوم لحسن حظك موجود، ليس لأنه مهتم بالعمل، ولكن لأن زوجته في إجازة وضع.. تقتحم مكتبه وتضع الأوراق على مكتبه في نفاد صبر .. ينقل نظره بينك وبين الأوراق.. ثم يمط شفتيه وهو يضع إمضاءه المبارك على

الورقة، ثم يضع خاتمه، قائلًا:

- إنت متأكد يابني من اللي إنت عايز تعمله ده؟!
- وحتى لو مكنتش متأكد، إللي أنا متأكد منه دلوقتي إني آخد التصريح، حتى لو مش هعمل بيه حاجة، إديني التصريح.

يناولك التصريح، وعلى وجهه ذات الابتسامة الفرعونية القدم، قائلًا:

- مبروك، دلوقتي بس تقدر تحب.

تلتقط التصريح من يده، وتطير به هائمًا؛ فقد تحقق لك مرادك.

لقد قرأ معظمكم هذا المقال من منطلق السخرية .. لكني حقًّا وصدقًا أقصد كل ما جاء فيه.

ماذا لو انتبه كل منا إلى أن الحب، تلك المشاعر الجميلة لا تكفي وحدها كي تصنع حياة؟!

هي تكفى لكي تصنع لحظات سعادة زائلة، لكنها أبدًا لا تصنع حياة مستمرة السعادة.

فكروا في الحب كوسيلة وليس كهدف.

فكروا في الحب كمرحلة وليس كنتيجة.

وفي النهاية أتمنى أن تتغير نظرتكم للحب.. كي تجعلوها مشاعر أجمل ما تكون.. كما أتمنى أن تنتهي البيروقراطية.. إلا في الحب طبعًا.

obeikandl.com

هوليود وتشويه العرب.. من السبب؟

أي شخص سافر إلى الغرب، يعلم جيدًا كيف ينظرون لنا نحن العرب، والحق يقال إنهم لديهم كل الحق في تلك النظرة.

العقل -أي عقل- يرضى دائمًا بالفكرة الجاهزة، والقوالب النمطية عن الآخرين؛ لأن ذلك يعفيه ويريحه من التجربة الشخصية، ويقدم إليه تحليلًا جاهزًا، ورؤية طازجة عن الآخرين.

والحق يقال أيضًا إن هوليود لم تقصر في شيء؛ فقد رفعت عنا أعباء تقديم أنفسنا إلى العالم، واضطلعت - بكل صدق زائف- بتلك المهمة، وبالفعل قدمتنا إلى شعوب العالم على حقيقتنا، أو ما يصورونها على أنها حقيقة .

كائنات تعيش بالصحراء على الرعي وسط الأغنام والأبقار، يقضون نهارهم في التنقل والرعي، ويقضون ليلهم في الأكل والنوم، كائنات ساذجة لا تعرف عن تطور المدنية شيء، غلاظ الملامح، شعث الشعر، لا يعرفون عن آداب التعامل والثقافة أكثر مما تعرف عصور ظلامهم عن عصور نهضتنا، قوم يرون المرأة خادمة بالنهار، وبالليل

آلة للتفريخ والإنجاب .

وما بين ما يقدمونه عنا، وما لا نقدمه نحن عن أنفسنا، يكمن السؤال الأهم: من الأكثر خطأ في حق الآخر؟ .. هل هو الغرب بآلته الإعلامية القويه ومؤرخيه الذين ينتقون أحط ما فينا - إن وجد- ليظهروه على أنه سمات عامة لنا؟

أم أنه خطأ من وقف ساكنًا وهو يرى تاريخه يعاد كتابته بزيف أوضح من ضوء شمس النهار؟

ذلك الذي يشاهد صورته الرمزية في أفلامهم محط سخرية وتهكم، ويضحك في بلاهة وكأنه لا يعرف بأنه يضحك على نفسه .

هل هو خطأ من يقرأ كتاباتهم وهم يصورونه وأجداده بأنهم حفنة من الانتحاريين الذين دفعتهم رؤيتهم الدونية لأنفسهم وشعورهم بالغيرة من الشعوب الأكثر تحضرًا أن يفجروا أنفسهم في وجه الحضارة .. ليصفعوها عقابًا لها على أنها اختارت الجنس الأرقى، واصطفته بأسرار التقدم والمدنية، ووضعتنا نحن في معسكرات التأهيل انتظارًا لدورنا في خدمة الجنس الأكثر رقيًا.

وما رأيته من ردة فعل تجاه هذا الغزو الممنهج لا يخرج عن ردات فعل ثلاث جميعها -في تقديري- تصب في غير صالحنا كالمعتاد.

أولها: نظرة دونية خالية من أي تقدير للذات، لا تصلح إلا للعَجَزَةِ

المنكسرين، وأصحاب ذلك الاتجاه يرون في نظرة الغرب لهم ربحًا يتربحون منها كثيرًا من جراء نظرة العالم المشفقة لتلك الشعوب التي لا تستطيع النهوض بنفسها، وتحتاج معونات وإعانات، وتسعدهم تلك التبعية للآخر؛ لأنها تعفيهم من المسؤولية، وتجعلهم يعيشون في رفاهية، غير عابئين بمصيرهم الذي جعلوا مقاليده في يد غيرهم، وتلك النظرة بالتأكيد -لا حرج أبدًا أن نقول- إنها أسوأ أنواع العبودية لأنها (العبودية طواعية).

وآخرون تغضبهم تلك النظرة، وهذا التشويه، ولكنها - للأسف - تتوقف عند هذا الحد، شعور بالسخط، سرعان ما يزول في ظل ما هو أكثر قيمة بالنسبة إليهم، وهذا يعود إلى الطبيعة الانهزامية التي هم عليها؛ فهم يقولون: «وماذا نصنع إذا كان عدونا أقوى منا، وكيف لنا أن نغير ما ترسخ في نفوس الآخرين عنا؟!»

ويهزمون أنفسهم بأنفسهم قبل حتى أن يهزمهم أعداؤهم، بل إنهم حتى لا إراديًّا يؤكدون بغير وعي صورة الغرب التي رسمها لهم .

وفعل آخر أكثر فاعلية، لكنه - للأسف- أكثر ضررًا في الوقت نفسه؛ فهناك من تؤثر فيهم نظرة الغرب كثيرًا، ومن كثرة الهجوم عليهم يصلون إلى ما يسمى في علم النفس «حالة التوحد مع الجاني» والتي تجعلهم يصبحون على نفس درجة عنف عدوهم ومهاجمهم،

ويبدأون في مهاجمته في عنف وقسوة شديدين؛ لأن هذا يشعرهم بالقوة -الزائفة- لكنها في الحقيقة أيضًا تتسبب في تأكيد صورة الغرب عنا، بل وتعطيهم المبرر العملي لشن حربهم التاريخية علينا.

وفي النهاية، يقع الحل بعيدًا هناك في تلك الخلايا الرمادية أعلى أجسادنا، في عقولنا، عقولنا التي أهملناها كثيرًا وانشغلنا عنها بأمور أقل أهمية كثيرًا، وتناسينا أننا نستطيع أن نحاور عدونا، ونناقشه، ونجادله، ونتفوق عليه، ونعطي لشعوبه مثالًا حيًّا عنا، رؤية مباشرة لمن اعتقدوهم أرباب صحارى، ونجعلهم يرون أننا أيضًا ننظر مثلهم نحو القمر.

وأخيرًا وليس آخرًا، شكرًا لنا نحن العرب؛ فلقد أحسنا الإساءة إلى أنفسنا أكثر مما فعل عدونا.

المومياء التي شعرت بالندم

أكرهه بشدة، هذا الشعور الذي اصطُلح على تسميته بالندم.

هو شعور يستحق اسمه عن جدارة.. بمجرد ذكر تلك الكلمة البسيطة في تركيبها؛ تعرف بأن شيئًا ما خطأً قد حدث.. بل وأكثر من ذلك، إنك لا تستطيع أن تفعل شيئًا حياله .. كل المشاعر الإنسانية -على صعوبتها واختلافها- يمكن التحكم فيها، ويمكننا أن نقوم بشيء ما كي نغيرها.. فعلى سبيل المثال، عندما نخاف؛ نستطيع أن نحاول أن نتمالك أنفسنا، ونتحلى بالشجاعة، وعندما نشعر بالحب تجاه شخص ما؛ نستطيع أن ندقق في عيوبه كثيرًا؛ فنحول هذا الحب إلى فتور، وربما إلى كراهية. هذه الأمثلة لمشاعر وغيرها كثير مما نستطيع أن نتصرف بشأنه عندما نشعر به .. إلا هذا الشعور الملقب بالندم، فعندما نشعر به لا نسطيع أبدًا أن نعيد الرصاصة إلى موضعها السابق، فالندم هو الكلمة التعبيرية الأدق للدلالة على: فوات الأوان.

حاولت أن أضيف، أن أتعلم، لماذا نشعر بالندم؟!.. معرفة سبب المشكلة هي نصف الحل.. لعلي أصل إلى حل لتلك المشكلة

ليليت للنشروالتوزيع

(الظاهرة) التي لا تنقطع .. ولا يبدو لي في الأفق أنها ستنقطع .. لكنها -على الأقل- محاولة يائسة، حتى لا آتي بعد مرور الأيام وأندم على أنني لم أقم بتلك المحاولة، سأحاول أن أتجنب الندم، سأحاول أن أعلمكم كيف تتجنبون الندم، وأتمنى ألا أندم أني قد فعلت.

لماذا نشعر بالندم ؟!

برغم بساطة السؤال، إلا أنك لن تتمكن من أن تجيب عليه بدقة ووضوح .. إنه ذلك النوع من الأسئلة الذي تدرك إجابته إدراكًا داخليًا، دون قدرة على التعبير عنه .. تشعر به، ولا تنطقه .. حاولت أن أجد الإجابة .. ووجدتها بسيطة ومعقدة في نفس الوقت .. بسيطة في المعنى .. معقدة في محاولة تلاشيها وتغييرها.

إننا نندم؛ لأننا ببساطة لم نعطِ حياتنا قدرًا كافيًا من التخطيط.. ثم تأتي النتيجة التي لم نتوقعها؛ فنشعر حينها بالندم على ما كان يمكن أن نفعل، ولم نفعل.. وعلى ما فعلنا، ولم يكن علينا أن نفعل.. إنه ببساطة: سوء التقدير، وضعف التخطيط، وغياب البصيرة، وضآلة الخيال.

ونحن إذ نطرح توصيفًا للمشكلة؛ فقد اتضح لنا في بساطة شديدة كيف نتجنب الشعور بالندم .. هو ببساطة: أن نفعل عكس ما سبق.

علينا أن نحسن تقدير الأمور .. وأن نخطط لها جيدًا .. وأن نحاول جاهدين النفاذ ببصيرتنا إلى المستقبل .. نتوقع أحداثه؛ ومن ثم نتحضر لها .. ولكي نفعل ذلك، علينا أن نطلق لخيالنا العنان في أن يرسم لنا صورة للغد.

إذا فعلنا هذا؛ فربما نتجنب - إلى حد كبير - شعورنا بالندم.

هأنذا العائد من الموت، أتيت كي أعلمكم ما لم أستطع أن أتعلمه في حياتي .. وأنا لكم ناصح، فاعتبروا بي واتعظوا مني.

وانتبهوا لخطوات حاضركم نحو مستقبلكم .. ولا أريد منكم شيئًا سوى أن تذكروني بخير .. فلا تملكون لي نفعًا ولا ضرًّا.. فأنا في النهاية إنسان ميت.. أنا المومياء التي شعرت بالندم.

obeikandl.com

obeikandl.com

ثورة الألفاظ على المسؤولية

حينما كنت أقوم بِدراسة علم النفس.. أعطونا درسًا يُسمَّى: «الوظائف النفسية البسيطة» ، ولَمّا اختلفت الشروح في تفسير تلك المسألة، اخترت لكم نموذجًا واحدًا.

تُقَسّم الوظائف النفسية البسيطة إلى ثماني وظائف: آخرها وظيفتان هامتان، هما نتاج عمل كل الوظائف النفسية السابقة؛ هاتان الوظيفتان هما: الكلام والحركة، أو ما نُسَميهما اصطلاحًا بـ «السلوك».

كان لهذه المقدمة العلمية أهميةٌ، لبيان قيمة الكلام في سلوك الإنسان؛ فهي نصف السلوك، أو ربما تزيد حسب الموقف.

إذن، الكلام كنتيجة لمصفوفة الوظائف النفسية، هو التعبير الظاهر عن ماهية شخصية كل منا، وتعبير منطوق عن نفوسنا.

ولمَّا كان للكلام هذه الأهمية البالغة؛ قام العلماء، والمنظرون بتأليف المجلدات وتصنيفها، وأفردوا لها المعاجم المفسرة، ووضعوا لها النظريات والمداخل؛ لكي يدرسوها كعلمٍ مستقل بالغ الأهمية والعمق، وكظاهرة لازمت الوجود البشري منذ النشأة وحتى فناء البشرية؛ فالكلام هو

تعبير عما يدور في عقل كل منا.

وأنا هنا في الواقع، أنتقد ظاهرة غريبة، ورثناها نحن الشباب جيلًا بعد جيل، لعلنا ننتبه إليها ونغيرها فنتغير.

تعبيرات وألفاظ نرددها كل يوم، وكل ساعة، وإذا كان لهذه التعبيرات من دلالة تحملها؛ فهي تعبر في الواقع عن الطابع الاتكالي الكسول الذي يُحرِّكنا دومًا، سواء عن دراية أو عن جهل، أن نسقط أي تقصير أو فشل ينتج عن أفعالنا في الحياة، على الآخر، أيا كان ذلك الآخر، بشرًا كان أو حتى جمادًا، وحتى الأشياء المعنوية لم تسلم من تعبيراتنا اللفظية الاتكالية الفاشلة حتى في التعبير عن الفشل نفسه.

إنها ظاهرة لم أرها عند الإنجليز مثلًا.. بينما في بلدنا تستحق لقب «ظاهرة» بامتياز؛ لكثرة تكرارها المستفز الذي يجعلها تَصِل إلى «أسلوب حياة».

فعلى سبيل المثال ...

عندما لا تلحق بالقطار، تصرخ ساخطًا، وإذا سألك أحدهم عن سبب سخطك، تقول له ببساطة: «إن القطار قد فاتك»، مع أن هذا غير صحيح على الإطلاق، فأنت من فَوّتَّ موعد القطار؛ لأنك لم تراعِ مواعيدك، ولم تتعب نفسك في الحضور مبكرًا للحاق بالقطار.

وعندما لا تلحق بالمحاضرة، تقوم بالادعاء زورًا بأن «المحاضرة قد

فاتتك». والحقيقة أن سيادتك هوَ الذي لم يحضر في ميعاد المحاضرة؛ فالمحاضرة بريئة من كسلك وتقاعسك، ومن شعورك الغبي، بأنه دومًا هناك متسع من الوقت، وأن العالم سينتظرك.

وعندما تلعب مباراة شطرنج مع أحد أصدقائك، ويقوم بهزيمتك، فورًا تقوم بتحميل الحظ مسؤولية فوز صاحبك، بالرغم من أنه يمكنك أن تعترف ببساطة أنك قد أخطأت في حركة ما، وقام هو بذكاء باستغلال خطئك، وانتصر عليك.

هذا النمط الإسقاطي الفاشل، الذي أسميه أنا: محاولة لإرضاء الضمير، وتجنب الشعور بالذنب من جراء الفشل؛ ما يدفعنا إلى أن نسقط كل فشل أو تقصير على أي شيء آخر، نُحَمِّله فشلَنا، حتى نكون راضين - ولو جزئيًّا- عن أنفسنا.

وهنا سيسأل سائل: وهل تغيير النمط اللفظي الذي نتبعه كَحِميَةٍ غذائيةٍ منذ زمن بعيد، سيجعل أنفسنا أكثر تحملًا للمسؤولية من ذي قبل؟!

وهل عندما نقول مثل تلك التعبيرات، فإن هذا دليل قاطع على أننا أشخاص نفتقد القدرة على تحمل المسئولية ؟! ربما نحن نقول حقًّا ما ليس في قلوبنا.

سأجيب عن هذا السؤال المشروع والمهم، ولكن بعد أن أحكي لكم

حكاية قصيرة، ثم أعود للإجابة.

كنت أحضر يومًا مأتمًا لسيدةٍ مسيحيةٍ في قريتنا، وكان هناك قس يَعِظُنا، كان حديثه شيقًا ممتعًا، شَدّنِي إليه، أسلوبه بسيطٌ، وبعيدٌ عن التقعر والفلسفة، لديه قدرة على تضفير العقيدة الإسلامية بالمسيحية بالتراث؛ ليضعها جميعًا في قالبٍ جميلٍ هادئ، يُوصِل الفكرة بأقصر الطرق، كان يستحق لقب واعظ عن جدارة.

كان حديثه الذي لم يطل كثيرًا يدور حول قولنا الدارج، الذي تعودنا أن نبرر بِهِ أقوال بعضنا الطائشة بأن نقول: «إن ذلك الشخص طيب القلب .. لكن لسانه دومًا يخالف ما في قلبه».

وبدأ في تفنيد هذا القول، وبيان وجه الخطأ فيه. قال: إن القلب أو العقل، إنما يشبهان الوعاء الذي يحمل بداخله شيئًا ما، واللسان يشبه المغرفة التي تغترف من داخل الوعاء لتخرج منه بعض ما فيه .. وأَنهَى شَرحه بنتيجة بسيطة مفادها: «أن اللسان لا ينطق إلا بما في داخل العقل والقلب».

أعود للإجابة على السؤال:

ربما لا يتحسن كل شيء في حياتنا، أو في شعورنا بالمسؤولية، إذا ما قمنا بتغيير سلوكنا اللفظي؛ فإن الأمر ليس بهذه البساطة ولا السطحية، لكن ما أنا واثقٌ منه تمام الثقة، هو أن هذه خطوة إلى

الأمام، تُعَلِّمنا على -الأقل- أن نكون أكثر مسؤولية في اختيار ألفاظنا للتعبير عن كل شيءٍ بما يستحقه حقًّا وليس بما يعفينا من المسؤولية. أعتقد أن هذا الأمر -على الأقل- هو قيمة مضافة وليست منقوصة، فعندما نتعلم أن نراقب سلوكنا اللفظي، ستكون هذه مقدمة لمراقبة كل أنماط سلوكنا، وما سيجعلنا نختار الكلمات التي تُعَبِّر عن فشلنا.. سيجعلنا نعمل على ألا نكرر هذا الفشل، لكي يكون دومًا تعبيرنا مقتصرًا على النجاح.

openkandl.com

obeikandl.com

المسرحية الأولى والأخيرة

بارع في التمثيل أنا منذ كنت صغيرًا، لكني لم أهوَ أبدًا أن أمثل على مسرح، أو أمام كاميرا، أو بمعنى أكثر دقة وتحليلًا: كنت أهوى التمثيل دون أن يعلم أحد أنني أمثل .. ظلت مقدرة مختفية لا أعرف أني أملكها، حتى كنت في الصف الثاني الإعدادي، وكان لدى المدرسة فريق مسرحي ينافس على بطولات على مستوى المحافظة، ثم يصعد على مستوى الجمهورية، ولا أظن أبدًا أن الفريق الريفي المدرسي قد وصل أبدًا إلى بطولة على مستوى الجمهورية .. كان المسؤول عن النشاط المسرحي في المدرسة أستاذًا محترمًا يُدعى «الأستاذ رؤوف». ويبدو أن «الأستاذ رؤوف» قد رأى في شخصي الضعيف قدرة على التمثيل، طلب مني أن أشارك في فريق المسرح، رفضت رفضًا قاطعًا، لا مجال عندي للنقاش في مثل هذا الأمر، أصر؛ فأصررت رافضًا، ولكن يبدو أن «الأستاذ رؤوف» كان يستحق فعلًا أن يكون قائدًا لفريق المسرح .. أحسن التمثيل عليَّ وأقنعني، واشتركت بالفعل في الفريق المسرحي، والذي كان عليه أن يتدرب لمدة لا تتجاوز شهرًا

واحدًا؛ لأن هناك مسابقة على مستوى المركز، سنصعد حال فوزنا فيها إلى تصفيات على مستوى المحافظة، ثم الجمهورية، والتي لن نصل أبدًا إليها كما سترون، وبسببي.

كان «الأستاذ رؤوف» يعتبرني الجوكر في الفريق المسرحي، البطل، وكنا سنمثل قصة لملك يحكم مملكة حروبها كثيرة، ثم تأتي حرب ضروس وخصم قوي، وعلى الملك ألا يعتمد بعد اليوم على قوته العسكرية فقط، وإلا خسر حربه القادمة، بل كان عليه أن يستخدم الحيلة والعقل، والتي سيمثلها في تلك الرواية الكاهن الأعظم لجلالة الملك، والذي سيشير على الملك بوضع جواسيس داخل صفوف الجيش العدو؛ ومن ثم يقومون ببث الخوف في قلوب جنود هذا الجيش، وإيهامهم بأن خصمهم الملك يحشد جيشًا جرارًا من كل الممالك التي غزاها من قبل، وسيغزوهم بهذا الجيش الذي يشيب لرؤيته الولدان، وأنه قرر ألا يأخذ أسرى، وسيقتل كل جيش العدو أولَ عن آخر، سيبيده إبادة شاملة، بل وأكثر من ذلك، بعد أن ينتهي من ذبح هذا الجيش عن بكرة أبيه، سيجعل جواسيسه يخبرونه بأمر ذويهم وعائلاتهم، وأين بلادهم، وسيأتي بزوجاتهم وأولادهم، ويدفنهم إلى جوارهم أحياء، بل وأكثر من ذلك أيضًا، سيشيعون أن الملك قد أمر صياديه باصطياد فئران محملة بالطاعون، وسيطلقها على هذا

الجيش قبل أن يزحف عليه بعد أيام ليذبح من تبقى منهم على قيد الحياة.

أي أن الخطة كانت كفيلة بإرساء سفن الرعب على شطآن قلوب أشد الرجال بأسًا وأكثرهم قوة وخبرة في خوض الحروب.

وكبطل؛ كان عليَّ أن ألعب دور الملك كما قرر لذلك «الأستاذ رؤوف» لكني قررت منذ أول لحظة لقراءة نص المسرحية أني لن ألعب دور الملك أبدًا، بل سألعب دور الكاهن الأكبر، الشخص ذي الرداء الفضفاض، الذي يمسك دومًا بعصاته الحكيمة، قليل الكلام، يقف بعيدًا دومًا على يسار العرش، يتقدم فقط حين يشعر بأن ملكه يتخلى في تلك اللحظة عن رجاحة عقله، كي يعيد إليه التاج الذي كاد أن يسقط بسبب اختلال اتزان رأسه ومن داخلها عقله، أعجبني الدور منذ اللحظة الأولى، يناسبني، يشبهني، قليل الكلام، مثلي، سديد الرأي مثلما أتمنى أن أكون في نفسي، لا يمسك بهذا الصولجان الذهبي علامة السلطة الذي يجذب دومًا الأنظار إليه، بل يقف صامتًا قانعًا بعصاته الخشبية التي تخبئ بداخلها حكمته، والتي تحمله حين يرتفع موج الاضطراب ويغرق الصولجان الذهبي صاحبه في قاع المحيط، بينما تطفو به عصاته الخشبية.

ولسوء حظي، وحظه أيضًا، قام زميل مغفل بلعب دور الملك، وكان

الدور الأنسب له: هو الحاجب الذي يمثل لسان مزمار مكتب الحكم البيضاوي، يدخل على الملك من يرغب برؤيته، ويحجب عنه رؤية الآخرين، لكنه حصل على هذا الدور ربما على حين غرة من «الأستاذ رؤوف» أو ربما بواسطة من أبيه الذي تمنى أن يرى ابنه الذي يقف على أعتاب المراهقة يرتدي ثوب الملك - ولو زورًا - على مسرح، ويجلس على كرسي العرش، ربما لتوافق رغبة عنده كأب، في أن يرى ابنه التافه في هذه المكانة، ويقينًا هو يعلم أن استحالة حدوث ذلك تقترب من استحالة إقناع قط بأن يتخلى عن فكرة مطاردة الفأر .. لكن هكذا كان.

وكان أول أيام التمرين على أداء المسرحية، وكانت الحسنة الوحيدة في ذلك الأمر، أنه كان لدينا تصريح بالغياب عن الحصص بحجة التدريب على المسرحية التي ستجلب - حال فوزنا بها - الفخر لهذه المدرسة، دخلنا إلى خشبة المسرح، وكانت الأزياء على أفضل التقديرات هي من مخلفات الحرب العالمية الأولى، ثم شعر محاربو الحرب العالمية الثانية بالبرد؛ فارتدوها أثناء الحرب، ثم كان لها أن تُلقى في الصحراء حتى عثر عليها أحد قصاصي الأثر الذي هو في غالب الأمر: إما «الأستاذ رؤوف» أو قريب له من بعيد أو من قريب .. لكن «الأستاذ رؤوف» أقنعنا أن هذه فقط ملابس

للتدريب، لكن هناك ملابس جديدة تُحاك بينما نتدرب، كي نقدم بها عرضنا المسرحي أمام لجنة التحكيم، ويقيني كان أن هذه الملابس «الجديدة» التي يدعي «الأستاذ رؤوف» بوجودها، لن تكون سوى من ذات مخلفات الحرب التي نرتديها، لكنها أحسن حالًا؛ لأن من كانوا يرتدونها كانوا عمال الإغاثة الطبية في ذات الحروب، ارتديناها وكلنا اشمئزاز؛ مما قد تحتويه هذه الخرق البالية من كائنات تعيش بين طياتها، وكنت أشعر أني ربما سأجد إصبعًا من كف جندي مات في الحرب داخل هذه الملابس، ارتديت ثوب الكاهن، أو بمعنى أدق: ما كان يبدو أقرب إلى ثوب الكاهن بين هذه الأسمال البالية، وارتدى كل فرد من طاقم التمثيل شيئًا يناسب دوره إلى حد ما .. وبدأنا التدريب.

أمسك كل منا بنص المسرحية في يده .. واتخذ كل منا موقعه على جبهة المسرح .. واجتهد الجميع في إظهار المقدرة الألباتشينية في التمثيل .. وابتدأ الكلام صاحب المبتدأ، ثم تبعه الآخرون .. حتى جاء دور جلالة الملك، الذي كان عليه أن يخبر مجلس حربه بإسدائه النصح له في حربه القادمة .. والذي يعتدل كل منهم في صرامة مخبرين أنهم أولو قوة وأولو بأس شديد، مؤكدين على قوتهم، وعلى قوة وشراسة الخصم في ذات الوقت، تاركين له قرار البدء .. ثم يتبعهم

كهنة معابد الآلهة، يخبرونه بأن الآلهة تبارك تلك الحرب، وتخبره بأنه سينتصر، وأن إله الحرب سينزل بنفسه، قاطعًا إجازته الصيفية في الساحل الشمالي ليحارب معه ضد هؤلاء الأوغاد كيلا ينتصر السلاح السوفيتي على السلاح الأمريكي في الحرب؛ فتصبح نكسة أخرى لبلد آخر .. ثم يحتار الملك في أمره .. ثم يميل رأسه إلى الوراء ناحية الكاهن، الذي هو «أنا»، طالبًا الرأى، الذي يهدئ خاطره، وينقذ عقله من أرجحة آراء قادة الحرب وقادة السحر .. ثم أتقدم نحوه ببطء يليق بحكمة الكاهن، ثم أطرق رأسي نحوه قائلًا بصوت خفيض مسموع: إن الحيلة يا مولاي هي سبيلنا للفوز في تلك الحرب التي لا يعلم أحد إلى ما ستنتهي لو دخلناها ضد هذه الجحافل المتعطشة للدم، وربما تكون تلك هي نهاية أمتنا ومملكتنا إلى الأبد، كان هذا الذي كان يجب أن يحدث، ولم يحدث.

فبعد أن قال كل من قادة الحرب وكهنة المعابد آراءهم، انبرى الملك المغفل، قارئًا من السيناريو، النص الخاص بي، والذي أصابني بحنق شديد لشدة غباء هذا الملك الذي لا يستحق حتى الجلوس للراحة على هذا الكرسي فضلًا عن امتلاكه.. وتقدمت نحوه بخطى سريعة ثم.. «صفعته على قفاه». نعم، هذا ما حدث.

واكتسى وجه «الأستاذ رؤوف» دهشة بدت جلية على قسمات

وجهه المستدير .. صرخ معترضًا على ما فعلته ومؤنبًا إياي .. ولم ينطق زميلي هذا بأي كلمة، ربما هو معتاد على مثل هذه الأمور .. اعتذرت للأستاذ رؤوف، ولم أعتذر لجلالة الملك على «القفا» .. وأعدنا تمثيل المسرحية مرة أخرى .. وجاءت اللحظة الحاسمة، نعم، كما توقعتم تمامًا، لقد وقع هذا المغفل في ذات الخطأ مرة أخرى، وقرأ نصي أنا .. ولم أتمالك نفسي، وقمت بـ»نفس ما فعلته في المرة الأولى» .. وأعدنا التمثيل مرارًا وتكرارًا .. حتى بدا مشهد ضرب الملك على قفاه، وكأنه مشهد تم إضافته للنص الجديد للمسرحية، والذي لم يعد «الأستاذ رؤوف» يعترض عليه .. ربما اعتاده وأعجبه، أو ربما اقتنع أن جلالة الملك يستحق هذه الصفعة المباركة.

وجاء اليوم الذي سنذهب فيه للتصفية على مستوى المركز .. وترجاني «الأستاذ رؤوف» طوال الطريق أن أتخلى عن فكرة الصفعة، على وعد أن يدعني أضربه -أي زميلي- «علقة ساخنة» بعد المسرحية.. لكن «الأستاذ رؤوف» ربما لم يكن يعلم أن الأمر بالنسبة لي ليس نزعة عدوانية لضرب أي شخص وانتهى، لكن دافعي كان الحنق من أن يحكمني ملك بهذه التفاهة.. ملك لا يعرف حدوده ونطاق ممارسته.. ملك يجور على حق غيره في السيناريو المكتوب قُبلا؛ كان هذا هو كل ما يدفعني لعقابه ولا شيء آخر.

كنا آخر من سيقوم بأداء عرضهم على المسرح .. ولمّا بدا لنا من ركاكة الأداء، وضعف النصوص التي قدمها سابقونا؛ فقد أدركنا أننا أولو قوة وأولو بأس شديد، على الأقل في هذه المرة.

صعدنا على المسرح، وقام كل منا بأداء دوره .. وعين «الأستاذ رؤوف» معلقة بعين زميلي «جلالة الملك» كي يذكره بألا يذهب بعيدًا عن نصه .. وأتت اللحظة التي ينتظرها الجميع .. وبالفعل، لم يقرأ هذا المغفل من بعد نصه .. وتقدمت أنا لأداء دوري .. وانتهت المسرحية «على خير»، وفزنا بجائزة المركز، وتم تصعيدنا للتنافس على مستوى المحافظة للتنافس على كأس الجمهورية من بعدها.

وتم تكريمنا من قِبل «الأستاذ رؤوف» بأن اشترى لكل منا «سندويتش فول وسندويتش فلافل» جائزة عظيمة، أعلم هذا.

كان علينا أن نكمل التدريب حتى نهاية الأسبوع؛ حيث موعد التصفيات الأكبر حجمًا والأعلى تنافسية، والتي قد لا نكون فيها نحن الغالبون.. ولكن لم يقرب أي منا من المسرح رغم إلحاح «الأستاذ رؤوف».. لكنه كان إذا وجد الملك فلا يجد الكاهن، وإذا وجد الكاهن لم يجد الحراس، وإذا وجد الحراس لم يجد قادة الحرب .. ولو حاول «الأستاذ رؤوف» البحث في هذا الأمر؛ لأدرك أن السبب هو أننا أصبنا جميعًا بتلبك معوي؛ جراء الهدية العظيمة التي أهدانا

إياها «الفول والطعمية» .. يبدو أن الفرق الأخرى الخاسرة قامت باستخدام الحيلة للانتقام منا، واتفقوا مع صاحب المحل أن يكثر لنا من الملح، أو أن يضيف لنا بعضًا من وباء الإيبولا في الطعام .. لا بأس، فنحن أولو حيلة - كما في المسرحية - ولا بأس من أن ينقلب السحر على الساحر.

لم نتدرب طيلة الأسبوع، وأتى اليوم الذي سافرنا فيه لعاصمة المحافظة، ولما رأينا المشهد المهيب، مسرحًا عملاقًا، فرقًا يبدو عليهم «النظافة»، لجنة تحكيم ذات أشخاص يرتدون عوينات، ويرتدون حللًا رسمية أنيقة؛ أدركنا أن علينا أن نفر إلى الجحور، كي لا تدهسنا هذه الجنود السليمانية.. ولكن «الأستاذ رؤوف» شد على أيدينا، مؤكدًا لنا - زورًا بالتأكيد - بأنه يعرف هذه الفرق جميعها، وأنه ليس علينا أن نخاف، فأداؤنا يفوقهم كثيرًا، ونحن الفائزون.

باءت كل محاولات «الأستاذ رؤوف» في طمأنتنا بالفشل .. خصوصًا بعد أن بدأ العرض، وتقدمت الفرق تلو الأخرى، يؤدون عروضهم، التي كانت تفوق أداءنا بمراحل كثيرة، وجاء دورنا.

صعدنا إلى خشبة المسرح، تئز أخشابه تحت خطواتنا؛ فتئز معها عظامنا التي اضطربت، واضطربت قبلها قلوبنا، بدأنا في أدائنا المرتبك، وأتت اللحظة التي تنتظرونها، وأخطأ هذا المغفل، مرة

أخرى، وتقدمت بكل جرأة راسمًا على قفاه كفًّا خماسية الأصابع.. واتسعت عيون الجميع وكأنها قيامة الأموات يرونها أمامهم.. أوقفت لجنة التحكيم تكملة المسرحية، وأعلنونا خاسرين، ولم ننل جائزتنا المنتظرة.. «سندوتش الفول والفلافل».

ظل «الأستاذ رؤوف» يزمجر طوال طريق العودة .. وكأننا خسرنا ما كان يقينًا لنا.. وهو على يقين تام بأننا ما كنا أبدًا لنأخذ هذه الجائزة رغمًا عن هؤلاء الجحافل؛ إلا إذا رشونا لجنة التحكيم، لتغض بصرها عن أدائهم المحكم، وتغض بصرها أيضًا عن أدائنا المرتبك.

توعدنا «الأستاذ رؤوف» بالعقاب، وقرر لي عقابًا، لم يكن يدري حين قرره؛ أنها رغبتي منذ أول لحظة طلب مني أن أشترك معه في هذه المسرحية؛ قرر أن يعفيني من التمثيل في الفريق المدرسي.

لم يكن يدري «الأستاذ رؤوف» أنني لا يمكنني أبدًا أن أقبل أن أكون كاهنًا لملك مغفل، لا يعرف حدود سلطاته ويستبد برأيه.

وكانت هذه هي مسرحيتي الأولى والأخيرة .. وقد تعلمت منها كثيرًا.

جائزة نوبل .. وأنا مالي ياعم !!

جائزة نوبل، بادئ الأمر، هي جائزة عالمية تُمنَح منذ سنين طويلة في العديد من المجالات المحددة، وتُعطَى للأعظم، والأجدر، والأكثر إبداعًا وتطويرًا على الإطلاق - حسب تقييم لجنةِ تحكيمِها - كلٌّ في مجاله.

عشت سنين عمري الأولى، مجبرًا على أن أَقرأ ما لم أُحِب، وما لم يتذوقه لسان عقلي الحديث السن، مجبرًا بِحُجة أن هؤلاء هم من نالوا جائزة نوبل؛ وبالتالي عليك أن تقرأ لهم. كَرّمَتهُم لجنةُ تحكيم جائزة نوبل في السويد؛ فأتت مَغَبَّة ذلك على رأسي أنا في أم الدنيا، مصر. رفضت أن أقرأ ما لم أُرِد، ولمّا كَبُرتُ، وأصبح لِذوقي الأدبي لسان غير الذي كان، بدأت أقرأ لهؤلاء الذين تَكَرّموا علينا بِجُودِ قَريحتهم؛ فَكُرِّموا من قِبل لجنة تحكيم جائزة نوبل، وبدون أن أُعطِي رأيي الذي لا يساوي شيئًا بالتأكيد، في أن لجنة تحكيم جائزة نوبل -رغم صرامة معاييرهم حسبما علمت- هي لجنة مكونة من بشر - هذا على حد علمي- فلم يصلني أبدًا أن ملائكةً هي التي تقرر في تلك اللجنة، وبما

أنهم بشر، ومع كامل التقدير لِعُلُوِّ قِيمتهم التي تفوقني عشراتٍ، بل آلافَ المرات على أقل تقدير، فهم لا زالوا بشرًا.

ربما كان الضغط الذي كان يمارس عليّ كي أقرأ لهؤلاء المُصَنفين على أنهم صفوة الصفوة، هو ما دفعني لهذا الموقف - الذي يبدو عدائيًّا - مع كتاباتهم.

لكن طباعي منذ كنت صغيرًا، هي الخروج عن التقييد والتقليد، والبعد عن النمط السائد، والنفور من القوالب النمطية، التي تشبه الثقوب السوداء بجاذبيتها الخرافية، التي تحاول جاهدةً أن تجذبك لداخلها، وكأنك تنتمي إليها ولا لشيء غيرها.

ولما كنت أحترم من سبقوني بلا أدنى تأليهٍ، وأقدر من سيأتون بعدي بلا أدنى تسفيهٍ أو استخفافٍ؛ فقد كنت لا أعتبر أبدًا فيما كان يُشاع دومًا على مسامعنا، من أن «فين حلاوة زمان»، «فين أيام زمان»، «كل حاجة زمان كانت حلوة»، هو أمرٌ لا محل له أبدًا من الإعراب، زمان، كان زمانًا يشبه أي زمان، به ما كان يحلو وبه ما كان مرًّا، مثله مثل اليوم، بل وأكثر من ذلك؛ تخبرنا قوانين التطور أن البشرية تسير بحضارتها للأمام، تتقدم وتتطور، من عاشوا في الماضي، كان منهم عباقرة، وكان منهم مغفلون، ومن يعيش اليوم منهم من الصنفين، وكذلك من سيأتون من بعدنا.

الحديث عن أنه لن يأتي «نجيب محفوظ» آخر، هو كلام لا يصل للمنطق بأية صلة من قريب أو من بعيد، الدكتور « نجيب محفوظ « عملاق الرواية العربية فى حينه، له مني كل تقدير واحترام وتبجيل، علّم أجيالًا من قبل جِيلِى، ومن جِيلِى ومن بعده، لكنه عملاق الرواية العربية حتى حين، حتى يخرج من هو أبرع، ومن يقول إنه لن يوجد، إذن فهو لا يدرك أبدًا قواعد التاريخ، ولم يقرأ أبدًا عمّن سبقونا، ولم يَرَ الأيام الدُّوَل.

من يخبرنا بأن «جابرييل جارثيا ماركيز»، لن يأتي من يضاهي أدبه الواقعي السحري، فهو أيضًا مخطئ، من خلق نجيب محفوظ، وجابريل جارثيا ماركيز، خلق غيرهم وغيرهم، هم علامات مضيئة ومنيرة على طريق المعرفة والثقافة، أضاؤوا لنا جزءًا من الطريق، كان ليظل مظلمًا لولاهم، لكنه لا يزال جزءًا من الطريق، وهناك آخرون سيخرجون ليضيؤوا بقية الطريق.

لا أريد أن يبدو كلامى طعنًا فى قيمة أحد؛ فأنا لا أصِلُ لأية قيمة من قِيَم من جِئتُ على ذكرهم، وغيرهم كثير؛ حتى يكون لرأيي فيهم قيمةٌ تُوزَن، أو يكون حتى لرأيي أذن تسمعه.

لكن هذه رسالة لِجِيلِى؛ لأن من سبقونا جعلونا نُقَيّم أنفسَنا تبعًا لغيرنا، ووضعوا لنا معيارًا من البشر، وأزعم - وهذا رأيي- أن صنع

معيار من البشر هو خطأ بالغ، ربما نصنع قدوة نتعلم منه ما قد كان خيرًا ونافعًا فيه، لكنني لا أضع غيري معيارًا لنجاحي وفشلي؛ لأن هذا يحد من قدرة البشر، فلماذا أضع لنفسي سقفًا قريبًا لهذا الحد؟! لماذا لا أحلم بما هو أبعد وأبعد وأبعد؟!

هذا المقال هو رد على صديق لي، حينما أخبرته أن بعضًا من روايات نجيب محفوظ لم تستهوني لكي أكملها، وأن «جابرييل جارثيا ماركيز» له عدد من القصص لم أشعر فيها بأية فائدة أو هدف؛ فاحتجّ عليّ صاحبي غاضبًا غضبةً شديدة، وقال: «ياعم دول واخدين جايزة نوبل .. إنت عبيط».

ولما حاولت إقناعه، بأنه ربما يكون شعوري هذا ناتجًا عن ضحالة عقلي، وعن تفاهته، وربما أنني لا أستطيع أن أصل بعقلي المحدود إلى ما حاولوا هم أن يرسموه على صفحات رواياتهم، لكنني -وبكل أسف- لا زلت مصممًا على رأيي: بأن ما قرأت لم يجذبني.

حاول أن يثنيني عن تلك الخطيئة وهذا الجرم، رغم ما شرحته له من قلة إدراكي أمام هذا العمق الذي يتميزون به، لكنه أصر على أن كتابات أمثال هؤلاء، لابد لها أن تصل إلى الجاهل والمتعلم على حد سواء، وأن روعتها في أنها سهلٌ ممتنع، ثم تابع مكررًا حديثه السابق: «ياعم بقولك جايزة نوبل.. جايزة نوبل».

فأجبته مازحًا، ومؤكدًا على إصراري على موقفي: «جايزة نوبل .. ونا مالي ياعم».

obeikandl.com

obeikandl.com

السماء تمطر كذبًا

لكل إنسان هواية يفعلها وهو لا يعلم لماذا يفعلها!.. وأنا هوايتي منذ صغري، هي مراقبة المطر في نزوله.

أشعر وأنا أراقبه، كأن الله يرسل إليَّ في كل قطرة رسالة مفادها: أنه دائمًا هناك أمل في أرض الحياة البور أن تطرح حلمًا لغدٍ جديد مغسولًا ببَرَد اليوم.

وفي تلك الليلة الممطرة من ليالي الشتاء التي تستهويني للخروج على عكس الكثيرين، خرجت من بيتي كي أتابع نزول المطر، مستعيدًا ذكريات الطفولة البريئة من الذاكرة التي أصبحت تشبه منزلًا للرعب من كثرة ما بها من ظلام، وأغصان متساقطة، وأحلام مبعثرة على منضدة متهالكة من الطموح المقتول الذي ينزف دمًا لا يتوقف على أرضية الفراغ المترامي الأطراف.

خرجت كي أتابع المطر.. المطر الذي أعرفه، والذي تعرفونه مثلي أيضًا، لكن ما رأيت لم يكن أبدًا ذلك المطر الذي نعرفه.

السماء تمطر كذبًا .. ماذا؟!.. كذبًا !! هل جننت؟!

لا، لم أصب بالجنون بعد يا سادة، ربما سأصل إليه يومًا ما، لكني أؤكد لكم ليس هذه المرة بالذات.

أنا واعٍ تمامًا لما أقول .. نعم، رأيت السماء تمطر كذبًا.

أصابني الذعر والخوف والتوتر، كما لم أصب بها يومًا ما من قبل.

سرت بين قطرات الكذب المتساقطة فوقي، أحاول أن أفهم .. لعلني أصل إلى إجابة.

عصرت خلايا مخي عصرًا كي أسترجع معلوماتي عن ظاهرة المطر، ربما أجد هذا الذي يحدث قد ذكر من قبل في أي مرجع علمي عن تلك الظاهرة .. لكني لم أجد أبدًا.

فما أنا أمامه لم يحدث أبدًا من قبل.

سرت أتخبط بين منطقي وخرافتي .. تتعثر قدمي بقطرات من الكذب المتساقطة على حذائي.. أنحني لأمسك إحداها، لعلني أجد ما يجعلني أفهم.

ما هذا؟! .. هذه كذبة من ولد على أمه كي يخفى عنها ما يخشى أن تعلمه.

وانحنيت ألتقط كذبات أخرى.

هذه كذبة لفتاة على والدها الذي لا يعلم أنها كانت في الخارج تلقى حبيبها السري.

وهذه الأخرى، هذا سياسي مخادع يكذب على مرشحيه بعبارات رنانة كي ينتخبوه، وهو يعلم أنه لن يفعل أيًّا مما يقول.

وهذا الآخر، كذبة شاب على فتاة يخدعها بحب زائف كي يأخذ منها أعز ما تملك، ثم يتركها لنصيبها القاسي.

شعرت بالدوار يحيط بعقلي، وصداع عنيف يكتسح خلايا مخي حتى لقد شعرت أن عقلي سيخرج من أنفي، وإذا بي أراه.. رأيته من بعيد، شيخًا كبيرًا، تبدو عليه علامات الكهولة من شدة انحناء ظهره.. يجلس هناك بعيدًا على جانب الطريق يرتدي بردة خضراء.. وله لحية بيضاء، جعلت وجهه يزداد نورًا على نور .. يجلس متكئًا على عصاة غليظة.

وقررت أن أذهب إليه كي أسأله، ربما يعلم أكثر مني في هذا الأمر، أو ربما شهد هذه الظاهرة من قبل؛ فيطمئن قلبي، سأذهب إليه لعله يخبرني بحكمة الشيوخ عما يجعل عقلي يهدأ من كثرة التفكير.

ذهبت إليه مسرعًا، ثم حييته وأردفت:

- دلني يا شيخ؛ فأنا في حيرة تكاد تأكل عقلي.. لماذا قد تمطر السماء كذبًا؟!

رفع وجهه إليَّ وعيناه تشع هدوءًا عجيبًا، وكأنما أتى من عالم آخر .. عالم أكثر تعقلًا وسكينة.. وصدقًا، ثم أجابني بصوت رخيم يدخل إلى

قلبك مباشرة حتى دون النفاذ من أذنك، وقال:

- أفلا تعلم يا ولدي، أن مطر السماء من بخار الأرض .. فإذا صلح المصدر طَهُر المطر؟!

شعرت توًّا بمدى حكمة ما يقوله هذا الشيخ، ورفعت رأسي إلى السماء متأملًا فيها، وعندما عدت بنظري إليه.. لم أجده.

ما هذا؟! أين ذهب؟!.. لقد، لقد كان هنا منذ لحظة أو يزيد، واختفى الشيخ فجأة، كما أتى فجأة.

تمنيت أن ألقاه بعدها، لكن الحياة لن تجود عليك كثيرًا بمثل هذا.

عدت إلى بيتي متأملًا كلمات الشيخ.. وعزمت على أن أعمل على أن يصلح المنبع.. حتى أستطيع أن أشاهد المطر الذي أحبه مرة أخرى.

openkandil.com

سيناريو آخر.. هل يفلح؟!!

هذه أول تجربة لي في الحقيقة لكتابة سيناريو، وأتمنى ألا يقرأ الصديق " بلال فضل" هذا المقال حتى لا يعطيني محاضرة "طويلة عريضة" عن أسس كتابة السيناريو؛ فالأمر كله لا يتعلق أساسًا بأية سيناريوهات، لكنها ربما إحدى المحاولات الناجحة التي يقوم بها الكتّاب الفشلة أمثالي حتى يجذبوا انتباه الجمهور المحترم، أمثال حضراتكم.

لن أطيل هذه المرة في مقدمات لا طائل منها.. دعونا ندخل مباشرة إلى لب الموضوع.

كنت يومًا ما أجلس مع أحد شيوخ التيار السلفي، لا أذكر بالضبط ماذا كان موضوع النقاش بيننا، لكني أتذكر جيدًا ذلك الذي سأقصه عليكم.

حكى لي هذا الشيخ -الذي أحترم شخصه الكريم- على عكس طريقة تفكيره التي تستفز دومًا خلاياي الرمادية التي تنطلق تنتقد أفكاره، حكى لي عن موقف حدث بينه وبين قسيس، وكان سعيدًا وهو

يقص عليَّ تلك القصة، سأحكي لكم ما حكاه لي بلا زيادة ولا نقصان، ثم سأعيد كتابة المشهد بطريقتي، أو كما كنت أتمنى أن تسير عليه الأمور، وفي النهاية سأترك لحضراتكم الحكم والتقدير، أي السيناريوهين أنجح من الآخر، فإلى المسرح.

- السيناريو الأول "الحقيقي"

منتصف النهار.. طريق زراعي.. سيارتان، يقود الأولى شيخ سلفي، ويقود الثانية قسيس.

تأتي السيارة الثانية - التي يقودها القسيس - مسرعة من على يمين السيارة الأولى، ثم تحتك بها وهي مسرعة أثناء مرورها.

يتوقف القسيس على مسافة من سيارة الشيخ السلفي، ويترجل عن سيارته.

يهبط الشيخ السلفي من سيارته يتفقد سيارته، ويرى ماذا لحق بها من أضرار "حصر عطب".

يتوجه الشيخ السلفي إلى حيث يقف القسيس، وقد انتفخت أوداجه غضبًا، وازدادت انتفاخًا، وازداد وجهه احتقانًا عندما وجده قسيسًا بملابسه الكنسية.

وتلاعبت الشياطين بعقله -أي الشيخ- ورأى أن تلك فرصة سانحة لدرس قاسٍ جدًّا لذلك النصراني -على حد تعبيره- وأن عليه أن

يكون قاسيًا لأبعد حد؛ انتصارًا منه لدين الله، وإلحاق الهزيمة بعدو الله، على حد تفكيره.

وعندما وصل إلى حيث يقف القسيس، وعيناه تشعان نارًا، قال للقسيس في مبادرة عدائية :

- شايف إنت عملت إيه يا بني آدم؟! .. إنت إيه إتعميت؟! مابتشوفش؟!

رد القسيس في تودد، كأنما كان يتوقع هذه الطريقة وهذا الأسلوب:

- أنا آسف يا شيخ .. شوف اللي حضرتك عاوزه، ونا تحت أمرك.

رد الشيخ وقد استشاط غضبًا أكثر؛ فلقد كان يتوقع ردًّا يبرر له شن الحرب التي يريدها :

- آه طبعًا شيخ .. شيخ غصب عنك، وطبعًا تحت أمري كمان .. إنت مش غلطان ولا إيه؟!

تطل في تلك اللحظة زوجة القسيس برأسها من نافذة السيارة، معلقة على الطريقة السخيفة للشيخ، ومنتصرة لزوجها الذي يبدو أكثر حكمة منها، وأكثر إدراكًا لما أمامه، وتقول الزوجة :

- هوه قالك حاجة؟! .. قالك شوف اللي إنت عايزه وهيعملهولك .. لزمته إيه الكلام اللى إنت بتقوله ده؟!

تصرف عدائيًّا، تمنى الشيخ لو كان قد صدر من زوجها، ورد عليها في

نظرة نارية قائلًا:

- إنتي تسكتي خالص .. إنتي بتتكلمي ليه؟! .. لما الرجالة تتكلم اللي زيك يسكتوا.

هنا تدخل القسيس محاولًا تهدئة الموقف قبل أن يتطور إلى ما لا يُحمد عقباه، قائلًا:

- خلاص، خلاص.. ماحصلش حاجة.. الشيخ أكيد ميقصدش حاجة.. شوف يا شيخ تمن اللي حصل في عربيتك ونا تحت أمرك فيه.

في كل مرة يتحدث فيها القسيس، يبدو فيها أن الشيخ سيصاب بالفالج من شدة الغيظ.

وتدخل المارة، وأصحاب المحال التجارية على الطريق لنزع فتيل الموقف قبل الانفجار، وبعد محاولات، أقنعوا الشيخ بأن الخدش بسيط جدًّا، ولا يستحق كل ما فعله هذا، وسط تأكيد القسيس على ضرورة أنه مهما بلغت التكلفة، فهو على استعداد لتحملها.

وتم فض الاشتباك، وانصرف القسيس في طريقه، تلاحقه بعض عبارات ساخطة من الشيخ، ولكن الموقف قد انتهى .. وكان الشيخ سعيدًا لأنه "مسح بيه الأرض" كما أخبرني.

- السيناريو الآخر "الوهمي"

ذات عناصر السيناريو الأول.

نفس ما حدث على الطريق.

يترجل القسيس عن سيارته، منتظرًا ما هو آتٍ.

يهبط الشيخ السلفي من سيارته.. يلقي عليها نظرة ليجد أن الضرر ليس بكبير، وعلاجه ليس بالعسير، ثم يلقي نظرة على ذلك الآخر من بعيد؛ فيجده قسيسًا في ملابسه الكنسية.

وفي نفس اللحظة يدرك القسيس هوية صاحب السيارة الأولى، ويتأهب للخوض في تجربة قاسية وهو يتذكر قول المسيح: "احترسوا.. هأنذا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب".

يتقدم الشيخ السلفي إلى حيث يقف القسيس في خطوات هادئة، راسمًا على وجهه ابتسامة عريضة، تصيب القسيس بنوع من الخرس الجزئي؛ فقد توقع وجهًا عابسًا كورقة تم طيها بعنف لإلقائها في سلة المهملات، واعتبر أن هذا مجرد هدوء العاصفة وهي قادمة خلفه لا محالة.

ترتسم على وجه الشيخ السلفي علامات القلق وهو يتقدم بيديه مصافحًا القسيس، قائلًا له:

- إنت بخير؟! أهلك حصلهم حاجة .. ولا كلكم بخير إن شاء الله؟!

ما نُحِت في تلك اللحظة على وجه القسيس من تعبيرات، لا أملك لغة تجعلني أعبر عنه بدقة، لكن أقل ما يمكن وصفها به، أنها تعبيرات ذهول، وكأنه قد رأى مريم العذراء أمامه، وانعقد لسانه للحظات لم يستطع حينها أن يحر جوابًا؛ فتابع الشيخ السلفي قائلًا:

- حضرتك بخير؟! إنت فيك حاجة؟!

شعر القسيس أن هذه مجرد أحلام يقظة، أو نوعًا من هلاوس بصرية يتمناها أن تحدث فحدثت، شعر بأن الشيخ لا يزال في طريقه إليه، وأنه لم يصل إليه بعد، وعليه أن يفيق من غيبوبته للرد على الاتهامات، والسباب الذي يتوقعه من الشيخ .. لكنه لملم شتات أمره، وتأكد بأنه لا يهذي، إن الشيخ حقًّا قد أتى إليه بكل أدب سائلًا إياه قبل أي شيء عن سلامته، وسلامة أهله، وانتزع نفسه من ذهوله، وقال في كلمات بدت متناثرة غير متصلة :

- أنا آآ .. آسف، كنت مستعجل شوية .. فـ فـ .. خبطت الـ الـ الـ العربية .. آسف معلش، شوف إنت عايز كام ونا هدفعهولك ؟!

كان القسيس لا زال يحاول أن يقنع نفسه بأن الشيخ كان عدوانيًّا معه بشدة، وأن ما حدث كان مجرد تخيل منه، وأن عليه أن يتعامل طبقًا للفكرة الأولى.

رد عليه الشيخ بسرعة في أدب واضح:

- فلوس!! فلوس إيه بس!.. ليه كدا؟! إحنا ناس فلاحين ومبنقبلش العوض.. وبعدين أنا بخير وانت وأهلك الحمد لله بخير، يبقى خلاص ماجراش حاجة تستاهل.

فغرت زوجة القسيس فاهًا، وكأنما تشاهد فيلمًا من أفلام الخيال العلمي، وقد رأت لتوها شيئًا شديد الغرابة، لكن الحقيقة أنه لم يكن هناك أي خيال في الأمر؛ فالشيخ كان ودودًا كما لابد أن يكون، شأنه في ذلك شأن أي داعية إلى الله أُمِر بأن يتخلق بآداب نبيه السمحة حتى مع من يحاربه، فضلًا عمن يعيش معه على نفس الأرض، وتحت نفس السماء.

هنا، تأكد القسيس بأن ما يراه حقيقي تمامًا، ربما لم يكن يتوقع أيًّا من هذا كله، لكنه واقعي وحقيقي؛ فالشيخ كان مثالًا لسعة الأخلاق، والأدب، والتربية، والدعوة السمحة، ويصلح أن يؤخذ مثالًا لما يجب أن يكون عليه جميع البشر مع بعضهم البعض، بغض النظر عن ألوانهم، أو أعراقهم، أو دياناتهم.

بدل القسيس علامات الدهشة على وجهه بعلامات الفرح والسعادة، ورسم ابتسامة عريضة على وجهه، ثم قال :

- أنا متشكر جدًّا يا شيخ .. ربنا يكتر من أمثالك.. بس أنا مصمم إن أنا لازم أصلح اللي عملته في عربيتك.

رد الشيخ في دبلوماسية كانت في رقتها قاسية على عقل القسيس، وقال:

- عايز تعتبر نفسك صلحتلي العربية؟! ماتسوقش بسرعة بعد كدا.. عشان سلامتك وسلامة اللي معاك، إتفضل علشان تلحق مشوارك اللي كنت مستعجل علشانه.

حياه القسيس تحية رقيقة، وربت على كتفه، وشكره على شدة أدبه وذوقه معه، ثم انطلق إلى طريقه.

الذي قصصته على حضراتكم في المرة الأولى هو ما حدث بالفعل، والسيناريو الآخر، هو ما كنت أتمنى أن يحدث.

أترك الاثنين بين يدي حضراتكم لتقرروا، أيهما كان أفضل؟! .. أيهما كان دينيًا، مسيحيًا أو إسلاميًا؟! .. وأيهما كان تراجعًا عن آداب الإنسانية؟! .. أيهما كان أصلح وأيهما كان أفسد؟! .. أيهما زرع الحب وأيهما حصد الكره؟!

عيدُ ميلادِها

مقالي هذا يحكي عن واقعة غريبة، لكنها حقيقية تمامًا، وستدركون بعد أن تنتهوا من قراءتها أنها بالفعل حادثة غريبة، نادرًا ما تتكرر.
كان اليوم، هو اليوم السابق على ذكرى ميلاد حبيبته، وكان عليه أن يأتي لها بهدية لتلك الذكرى العزيزة على قلبها، وقلبه أيضًا.
لكنه في الحقيقة، لم يكن يملك مالًا على الإطلاق، كل ما كان يملكه أولًا عن آخر خمسون قرشًا لا غير، كانت تكفيه فقط لركوب الميكروباص الذي سيوصله إلى بيته، حيث سيجلس في غرفته يفكر في حل تلك المعضلة.
هل يخبرها أنه لم يكن يملك مالًا ولذلك لم يستطع أن يأتيها بالهدية؟! .. لا، يبدو حلًّا قاسيًا على نفسه، هو حساس، وصاحب كرامة وعزة، لا يقبل أبدًا تقليلًا من نفسه أمام أي شخص، خصوصًا هي.
هل يقترض؟! .. لا، يبدو أيضًا حلًّا غير مقبول له؛ فهو من عائلة محافظة، ولم يعتد أن يقترض من أحد، إذن، فماذا العمل؟! .. ظلت تلك الهواجس تهاجمه من كل حدب وصوب وهو يسير في الطريق

إلى بيته، بعد أن ترجل عن الميكروباص الذي ركبه بآخر مدخراته في الحياة.

آهٍ لو كانت دقات القلب تُمنَح، أو كان بؤبؤ العين يُهدَى .. لأعطاها الاثنين معًا غير آسفٍ عليهما، مؤكدًا لها؛ أنه ربما لا يملك مالًا كي يشتري لها هدية، لكنه لو ملك لأعطاها كل ما تتمنى في هذه الدنيا، ولقرب إليها كل ما بَعُد عنها، لكن -للأسف- كل هذه كانت أمنيات لا تنقذ الغريق.

غَيّر طريقه المعتاد للذهاب إلى البيت كي يطول سيره، ويهرب من حصاره بين جدران غرفته التي ربما تقتله من كثرة الفِكر والخاطر، سار في الطريق باحثًا عن حل، تارة يرفع رأسه إلى السماء معاتبًا ربه على ضيقته، وراجيًا إياه في فرجه، وتارة يطرق رأسه إلى الرصيف الذي يسير فوقه من خجله الذي يشعر به، ومن قلة حيلته التي تتملكه في تلك اللحظة.

وبينما هو يسير، وبين إطراقة رأسه ورفعتها، لمع شيء ما على الطريق في عينيه، تجاهله وأكمل طريقه، ثم انتبه قليلًا وعاد كي يتحقق منه، وجده ساعةً نسائيةً فضيةً غايةً في الأناقة والرقي، لا تشوبها شائبة وكأنها جديدة تمامًا.

تلفت حوله يمينًا ويسارًا، يبحث عمن قد يمكن أن تكون هذه الساعة

قد سقطت منه، لكن الطريق كان خاليًا والوقت متأخر، قرر أن يذهب ليبيعها ثم يشتري من ثمنها هدية لحبيبته، وما يتبقى من مال ينفقه على دعوة رقيقة للعشاء، ذهب بالساعة فرحًا سعيدًا إلى أحد محال بيع الساعات، عرض على البائع أن يشتريها؛ فقرر أنه سيأخذها منه بخمسمائة جنيه؛ فقبل من فوره، ثم تراجع البائع، وقال له إنه ينصحه بألا يبيعها؛ فهي ساعة قيّمة وتساوي ثلاثة أضعاف هذا السعر الذي عرضه عليه، لكنه إذا أصر على بيعها فسيأخذها منه.

تراجع عن فكرة البيع، وخرج من المحل، بعد أن شكر البائع على أمانته، وعلى نصحه، وقرر أن يهدي الساعة لحبيبته، نعم، هذا رأي سليم، لكن بينما هو يسير يقلبها بين أصابعه، إذ اكتشف أن هناك ثلاثة فصوص مفقودة من تلك التي تزينها، وخاب أمله؛ فهو لا يستطيع أن يهديها لها وهي على تلك الحال؛ فهي ستدرك أنها ليست جديدة، وهو ما لم يكن يريده، إذن فما العمل؟! .. كلما تبتسم تعود لتطبق أسنانها عليه مرة أخرى.

سار يفكر في حل لتلك المعضلة الجديدة، راجيًا ربه أن يكمل كرمه معه، ويفك عنه كربته، وبينما هو في المسير على ضفاف النيل، وقعت عيناه على ورقة تشبه ورق البنكنوت، انحنى يلتقطها، فإذا

بها ورقة من فئة المائة جنيه، أمسكها بين يديه، ودمعت عيناه غير مصدق ما هو فيه. هل يعلم الله حقيقة مشاعره تجاه حبيبته، ويعلم أنه ينوي بها خيرًا؛ فأعانه على ما يريد؟!، الله كريم جدًّا، هذا أكيد. أخذ الساعة لمحل الساعات، وطلب من البائع أن يركب الفصوص الثلاثة المفقودة، ثم نقده ثمنها، وتبقى معه ما يكفي لكي يدعوها إلى مشروب لطيف مثلها.

التقى حبيبته في يوم عيد ميلادها .. أعطاها هديتها فَرِحًا، وتناولتها هي بفرحٍ أكثر، وما كانت تريد منه كل هذا، أخبرته بذلك .. هي فقط كانت تنتظر وردة دافئة بعطر يديه، وكان عليه أن يدخر المال لبيتهما الذي سيجمعهما الله فيه معًا بميثاق غليظ.

ظلا يتبادلان الحب والغرام طيلة اليوم .. هما الآن متزوجان.. ولديهما أطفال في غاية الجمال .. هي لا تعرف بتلك القصة.. لكنها تعرف بأن حبيبها يريد دومًا أن يأتيها بنجوم السماء.. لو كان يستطيع.. وهو أحيانًا كثيرة لا يملك أن يهديها إلا الحب والحنان.. آه، الحنان.. حنان هو اسمها بالمناسبة.

المُقدّمة المُتأخّرة

عنوان صادم وملهم اخترته لهذا الكتاب: "أوراق الشيطان".. لكني أقسم لحضراتكم أن هذه ليست محاولة للفت الانتباه أو لجذب حضراتكم إليه.. بل إنني حين قررت أن أختار اسمًا لكتاب يضم هذه المقالات بين دفتيه، خطر هذا الاسم على بالي دون أدنى تفكير أو ترتيب مني.

هذا الكتاب، لم أكتبه كنوعٍ من الترف العقلي، ولا ادعاءً للحكمة .. فهذا الكتاب قد كُتِبت بعض فصوله منذ فترة طويلة جدًّا، قد تصل إلى بضع سنين في بعض المقالات أحيانًا.. وعندما نصحني بعض ممن أقبل نُصحَهم بأن أقوم بنشر بعض ما كَتبتُ، ترددتُ كثيرًا في الأمر؛ لأنني لم أكن أتوقع أن يأتي يومٌ، يقرأ فيه شخصٌ آخرُ غيري ما أكتبه .. ذكرياتٌ ومواقفُ وتجاربُ مَرّت بي ومررت بها، وحاولت أن أجعلها ذات قيمةٍ؛ فقمت بكتابتها، واستخلصت من كل منها درسًا قيمًا لي.. ولم أكن أُحِب أن يطلع عليها سواي .. لكن -كما نصحني الصديق- ربما

يكون فيما كتبت فائدةً ولو قليلةً يستفيد منها غيري؛ فأكون بذلك قد أَفَدت واستفدت.

هذا الكتاب كُتِب بطريقةٍ غريبةٍ بعض الشيء .. فأنتَ/أنتِ تستطيع أن تفتح هذا الكتاب على أية صفحة، ثم تبدأ القراءة منها.. هذا الكتاب تستطيع أن تنهيه في دقائق معدودة .. وتستطيع أن تنهيه في شهور.. هذا الكتاب وأنت تقرؤه ستشعر بأنك أنتَ/ أنتِ مَن قُمت بكتابته وليس أنا .. في هذا الكتاب، وفي كل مقالٍ فيه، ستشعر بأن كل موقفٍ قد حدث معك في حياتك بصورةٍ أو بأخرى .. أو ستشعر بأنك ستمر به يومًا ما بالتأكيد .. هذا الكتاب يعفيني من كل عبء .. فقد قلت ما عندي لنفسي ولكم .. تعلمت دروسي، ونقلتها لكم، عساكم تتعظون بي.. وهو الآن يضع هذا العبء عليكم .. كل منكم سيفهم الدرس على طريقته.. لكن المهم حقًّا هنا، هو أن تفهم الدرس بأي طريقة كانت.

بعضكم سيجد هذا الكتاب من أتفه ما يمكن أن يكون، ويستحق سلة المهملات .. وهذا رأيٌ أنا أحترمه حقًّا .. فقد شعرت بهذا في بعض الأحيان .. لكن حين تقرر هذا أرجوك ابحث عن شخصٍ آخر غيرك لا يستطيع أن يشتري هذا الكتاب، وألقه عنده.. عساه يجد فيه ولو كلمة تفيده .. وربما تراه يستحق؛ فشكرًا جزيلًا لك .. لكن

في كل الأحوال، لا أظن أبدًا أن كل حروف هذا الكتاب مخطئةً وخاطئة .. لابد أن بها ولو حرفًا واحدًا على الأقل يمكنك أن تقرأه وتستفيد منه.

رجب محمد عطا
01006282789
E-mail/ imas_ra@yahoo.com

obeikandl.com

فهرس

وَزيرُ داخِليّةِ المَدرّسَة	7
الغد يتوسل إلى اليوم مستشهدًا بالأمس	17
مذكرات حمار	21
حبة الفياجرا.. ودرس في التربية	24
الحلم الذي لا يتحقق	33
الاختبار القذر	37
البَيروقراطيةُ في الحُب	43
بسم الله الرحمن الرحيم	45
هوليود وتشويه العرب.. من السبب؟	53
المومياء التي شعرت بالندم	57
ثورة الألفاظ على المسؤولية	61
المسرحية الأولى والأخيرة	67
جائزة نوبل .. وأنا مالي ياعم !!	77
السماء تمطر كذِبا	83
سيناريو آخر.. هل يفلح؟!!	87
عيدُ ميلادِها	95
المُقدّمة المُتَأخِّرة	99

obeikandl.com

obeikandl.com

رقم إيداع ١٣٥٠٩/ ٢٠١٥ط١
الترقيم الدولى / ٤ - ٠١٩ - ٧٨٩ - ٩٧٧ - ٩٧٨

obeikandl.com